

# خصائص ومميزات

## أهل

# السنة والجماعة

تأليف

أبي عبد الرحمن موفق بن أحمد بن علي الفاضلي  
العودي.

تقديم فضيلة الشيخين/

أبي بكر بن عبده بن عبدالله الحمادي.

وأبي محمد عبدالحميد بن يحيى الزعكري.

## مقدمة الشيخ أبي بكر الحمادي حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله  
وصحبه.

أما بعد: فقد قرأت أكثر ما كتبه أخونا أبو عبد الرحمن  
موفق بن أحمد الفاضلي العودي وفقه الله وسدده بالقول  
والعمل في كتابه الذي سماه (خصائص أهل السنة  
والجماعة) فوجدته كتابا نافعا مفيدا بين فيه عقيدة  
السلف في كثير من المسائل وبين ما اختص به أهل  
السنة والجماعة من الخصائص التي امتازوا بها عن  
أهل البدع والأهواء وبين بعض ضلالات وانحرافات أهل  
الأهواء المتقدمين منهم والمتأخرين.

فجزاه الله خيرا وبارك الله فيه.

وأسأل الله أن ينفع بكتابه ويكتب له الأجر العظيم.

كتبه: أبو بكر بن عبده بن عبد الله الحمادي في يوم  
الاثنين ٥ / صفر / ١٤٤٥ هـ

في الجزيرة من بلاد مصر.

## مقدمة الشيخ عبدالحميد الحجوري حفظه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

فقد تصفحت خصائص ومميزات أهل السنة والجماعة لأخي  
أبي عبد الرحمن موفق بن أحمد العودي فرأيت أنه قد أتى فيها  
بجمل مفيدة تميز هذا الطريق الموصل إلى جنة الله عز وجل،  
والذي تنكر له الكثير أما جهلاً أو عناداً وكبراً، فجزاه الله  
خيراً على ما قام به، والحمد لله رب العالمين.

عبدالحميد بن يحيى الزُّعكري

٥/صفر/١٤٤٥هـ

## المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إمام الأولين والآخرين، وسيد الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فقد روى ابن ماجه عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، رضي الله عنه، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَأَحَدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ ". قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : " الْجَمَاعَةُ ". وفي رواية عند الترمذي: " قالوا ومن هي يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي " والحديث صححه الألباني رحمه الله في الصحيحة والجامع الصحيح وصحيح ابن ماجه وصحيح أبي داود وفي غيرها من كتبه.

فلما كان الأمر كذلك كان لزاما على أهل السنة والجماعة أن يبينوا هذا الجماعة وأن يذكروا خصائص هذه الطائفة ومميزاتها التي تميزت بها عن سائر الطوائف ليحيى من حي عن بيعة ويهلك من هلك عن بيعة، ومما لا شك فيه أن هذه الطائفة وهذه الجماعة المحقة التي استثناهما النبي صلى الله عليه وسلم في حديث **عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ** المتقدم هم أهل السنة والجماعة لما استقرأون من خصائصهم ومميزاتهم التي شابها بها سلفهم الصالح، وأن دعوة أهل السنة والجماعة هي دعوة الحق والمنهج الصافي الزلال الذي سار عليه السلف الصالح المنبثق من كتاب الله وسنة رسوله على مراد الله ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم، فمن سار على ما سار عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم فهو من الجماعة التي أشار إليها النبي صلى الله

عليه وسلم بقوله: "هم الجماعة" وهم أهل السنة والجماعة، الطائفة الناجية المنصورة التي استثنّاها نبينا صلى الله عليه وسلم في الحديث المتقدم.

فمن هذا المنطلق رأيت أن أذكر أهم المميزات والخصائص التي تميز بها أهل السنة والجماعة، وتميزت بها دعوتهم عن سائر الدعوات، ليكون المسلم على بصيرة من أمره، وعلى بينة من دينه، فيتميز الحق فيتبعه، ويستبين الباطل فيجتنبه في حين انتشرت الدعوات الباطلة وكثرت طوائف أهل البدع فصارت كل فرقة تدّعي أنها دعوة الحق وتضلّل على الناس حتى اختلط الحابل بالنابل عند كثير من الناس.

وكلّ يدعي وصلا بليلي\*\*\*وليلي لا تقر لهم بذاكا.

والحق واحد كما أشرنا سابقا ونفصل ذلك لاحقا بإذن الله تبارك وتعالى.

وقد ألف بعض أهل العلم في خصائص أهل السنة والجماعة أو مميزات أهل السنة والجماعة أو معالم أهل السنة والجماعة، فمن باب المشاركة في الخير والنفاح عن الحق والدعوة إليه نقوم بهذا العمل المتواضع فنذكر في هذه الرسالة أهم هذه الخصائص التي تميز بها أهل السنة والجماعة، فإن من منهج أهل السنة والجماعة لهو التميز في دعوتهم عن دعوة غيرهم من أهل الباطل، وما نفع الله بهذه الدعوة المباركة إلا لصفائها ونقاها وتميزها عن غيرها، فإنها كالبحر لا تقبل الميئة، بخلاف سائر الدعوات فإنها تضم في أوساطها الغث والسمين، والحق والباطل، والسنن والبدع، الأمر الذي جعلها تفشل، بينما دعوة أهل السنة والجماعة ناجحة ومهيمنة على سائر الدعوة بسبب ما تميزت به من هذه الخصائص والمميزات التي سنذكر بعضها.

وهذه الخصائص التي اختص بها أهل السنة والجماعة وتميزوا بها على سائر أهل البدع أخذوها من كتاب ربهم ومن سنة نبيهم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وسلفهم الصالح الذين أثنى الله عليهم في كتابه ورسوله في سنته، وأمر بالافتداء بهم والسير على منهاجهم، بينما سائر الدعوات منهجها مستمد من أشخاص غير معصومين، ولذلك تعددت فرقهم وتشعبت أهواءهم وكثرت طرقهم وبدعهم، بينما أهل السنة والجماعة على قلب رجل واحد وعلى منهج واحد لا يتغير بتغير الأزمنة والأمكنة؛ لأن دعوتهم مستمدة من كتاب ربهم ومنبثقة من سنة نبيهم المعصوم صلى الله عليه وسلم، فهي صالحة لكل زمان ومكان، وباقية إلى أن تقوم الساعة لا يضرها من خالفها ولا من

خذلها، فيجب على كل مسلم التزامها واعتناقها والدفاع عنها، فإنها دعوة الحق، وهي دعوة الله ودعوة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأهلها هم الطائفة الناجية المنصورة في الدنيا وفي الآخرة، وهي الطائفة التي عناها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "إلا واحدة هم من كان مثل ما أنا عليه وأصحابي" وفي رواية "هم الجماعة"

### {(سبب تأليف الرسالة)}

كنت قد فتحت درسا في خصائص أهل السنة والجماعة في مركز السنة في جبن في الوقت الذي نزلنا فيه هناك، وكنت أسجل هذه الدروس في مقاطع صوتية وأنشرها، وكنت عازما على إخراجها في رسالة فيسر الله ببرنامج تحويل الصوت الى كتابة فرأيت أن أحول هذه الدروس الصوتية إلى كتابة ففرغتها على ماهي عليه من صوتيات إلى كتابة، وبعد التفريغ عدلت الأخطاء ورأيت أن أعيد صياغتها فرتبتها وأضفت بعض الزيادات والتعديلات و حذف بعض الأشياء أثناء رص الرسالة مع بقاء الأصل، فيسر الله بإخراج هذا الكتاب الذي بين أيدينا عسى الله أن ينفع به، هذا أمر.

الأمر الثاني وهو الأصل ،ومن أجله فُتح ذلك الدرس، وألف هذا الكتاب: وهو معرفة منهج أهل السنة والجماعة ومعرفة عقيدتهم، لا سيما في هذا الزمان الذي كثر فيه أهل البدع وكثر فيه أعداء السنة من الداخل والخارج لا كثرهم الله، وفي زمن كثر المشوهون والمحذرون والمخذلون لأهل السنة، فأحببت أن أضع للناس هذه الخصائص ليكونوا على بصيرة من أمرهم، وليعلموا المنهج الصحيح والدين القويم، إقامة للحجة ودفاعا عن السنة وأهلها وعن الحق وأهله، فإن الناس بأمس الحاجة لمثل هذا الموضوع بسبب ما حصل من خلط وخبط عند كثير منهم، فصار لا يعرف الحق إلا القليل من الناس، بسبب تلبيس أهل الزيغ والضلال عليهم، و صار أهل البدع يشوهون بأهل السنة ويرمونهم بكل بلية حتى التبس الأمر على الناس فصار كثير منهم لا يميز بين الحق وأهله، وبين الباطل وأهله ، حتى صار بعضهم يقول اختلط علينا الحق بالباطل والحابل بالنابل فما عرفنا من هم أهل الحق، مع أن الحق واضح كالشمس في رابعة النهار عند من بحث عنه ولم

تتلوث فطرته، ولم يجالس أهل الباطل، فإن الذي يجالس أهل الباطل من أهل البدع والتحزبات ويسمع منهم يصعب عليه معرفة الحق إلا أن يشاء الله.

فإليك أيها القارئ هذه الصفحات من صفات أهل السنة والجماعة ومميزاتهم، والخصائص التي تميز بها أهل الحق من أهل الباطل لتكون لك فرقانا تميز به بين الحق والباطل، وبين أهل السنة وأهل البدعة بإذن الله تعالى بعد الاستعانة بالله ودعائه أن يبصرك بالحق، فمن صدق الله صدقه، ومن علم الله إخلاص وفقه، والله المستعان وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المؤلف

### **{(منهجي في تأليف الرسالة)}**

كنت أقوم بكتابة الخبيصة مع بيان العقيدة الصحيحة في المسألة، ثم أذكر فضلها واهتمام أهل السنة فيها واتصافهم بها، وأحث القارئ عليها مع شيء من التوسع فيها ليستفيد منها القارئ ويعرف عقيدة أهل السنة فيها مع ذكر الأدلة والجمع بينها عند الحاجة وتوجيه الأدلة المتشابهة التي يستدل بها أهل البدع على عقائدهم الباطلة، ثم أذكر عقائد الطوائف المنحرفة من أهل البدع الذين خالفوا الحق، مع ذكر مقارنة بين عقيدة أهل السنة وعقائد غيرهم من أهل البدع في المسألة، وأذكر مساوئهم من باب قوله تعالى: **{ وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ }** [سورة الأنعام : 55]

### **{(سبب تسمية أهل السنة والجماعة بهذا الاسم)}**

سمي أهل السنة بهذا الاسم نسبة إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، والسنة هي: طريقة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في أقواله وأفعاله وصفاته وتقريراته، فنسبة أهل السنة إلى السنة من هذا القبيل، وهو أنهم اتصفوا بالسنة قولاً وعملاً واعتقاداً، امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم كما في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه كما عند الإمام

الترمذي: "عليكم بسنتي". يعني الزموا سنتي، فإن [عليكم] اسم فعل بمعنى الزموا، فأهل السنة والجماعة هم الذين التزموا سنته صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وفي صفاته ولم يحدثوا شيئاً مما يخالف السنة، بخلاف غيرهم من الفرق فإنهم خالفوا السنة واتبعوا أهواءهم، وأحدثوا البدع في الدين، ولذلك سموا بأهل البدع والأهواء.

فيجب على كل مسلم أن يعمل بالسنة وأن يكون سنياً سلفياً، فليس أهل السنة حزباً، وإنما هم جماعة متبعة للنبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فسموا بأهل السنة والجماعة، بينما غيرهم تفرقوا إلى فرق وأحزاب ولهذا سموا بأهل البدعة والفرقة، فكل من عمل بالسنة فهو من أهل السنة، بقطع النظر عن لونه أو ماله أو حسبه أو نسبه أو شعبه، فليست السنة حكراً على أحد فإنه لو جاء يهودي ثم دخل في الإسلام ثم عمل بالسنة فهو من أهل السنة والجماعة.

وسموا بالجماعة؛ لأنهم اجتمعوا على الحق واجمعوا عليه، فقد جاء عند ابن ماجه عن **عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ، فِرْقَةً وَاحِدَةً فِي الْجَنَّةِ ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ " . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : " الْجَمَاعَةُ " . وفي رواية عند الترمذي قالوا ومن هي يا رسول الله قال: " ما أنا عليه وأصحابي "

إذن لا محذور في تسمية أهل الحق بأهل السنة والجماعة، فأما قولنا: أهل السنة فمن قوله صلى الله عليه وسلم "عليكم بسنتي" وأما تسميتهم بالجماعة فمن قوله عليه الصلاة والسلام: "هم الجماعة". وكذلك تسميتهم بالسلفيين فمن قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لفاطمة رضي الله عنها " **فَإِنِّي نَعَمُ السَّلَفُ أَنَا لَكَ** " رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها.

وسموا كذلك أيضاً نسبة إلى السلف الصالح، فإن الله تعالى أمر عباده بالاعتداء بهم، فأهل السنة يقتدون بالسلف الصالح ويقتفون آثارهم.

فمن هم السلف الصالح إذن؟

هم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وتابعوهم وهم أصحاب القرون المفضلة التي شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية فقال: " **خَيْرُ**



**النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ " . فَلَا أَدْرِي فِي الثَّلَاثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ " متفق عليه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .**

## **«تعريف الخصيصة والميزة»**

خصائص: جمع خصيصة وهو ما ما تميز بها الشخص عن غيره، وصار وصفاً له لا يشاركه فيها أحد، فأهل السنة تميزوا بخصائص كثيرة عن سائر الفرق، هذه الخصائص تميزهم عن غيرهم من أهل البدع وهي مستمدة من الكتاب والسنة ومن فعل السلف الصالح، فيستطيع مريد الحق أن يميزهم عن غيرهم بهذه الخصائص.

**والميزة:** مفرد مميزات وهي قرينة من الخصائص.

قال ابن منظور في لسان العرب: "ميز: الـمِيزُ: التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ. تَقُولُ: مِزْتُ بَعْضَهُ مِنْ بَعْضٍ فَأَنَا أَمِيزُهُ مِيزًا، وَقَدْ أَمَارَ بَعْضَهُ مِنْ بَعْضٍ، وَمِزْتُ الشَّيْءَ أَمِيزُهُ مِيزًا: عَزَلْتُهُ وَفَرَزْتُهُ، وَكَذَلِكَ مِيزَتُهُ تَمْيِيزًا فَأَمَارًا. ابْنُ سَيِّدَةٍ: مَارَ الشَّيْءَ مِيزًا وَمِيزَةً وَمِيزَهُ: فَصَلَ بَعْضَهُ مِنْ بَعْضٍ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزُ: {حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ}

...وتميز القوم وامتازوا: صَارُوا فِي نَاحِيَةٍ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزُ: {وَأَمْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ}

؛ أي تميزوا، وَقِيلَ: أَيِ انْفَرَدُوا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ. وَاسْتَمَارَ عَنِ الشَّيْءِ: تَبَاعَدَ مِنْهُ" اهـ.

## **{{(الخصيصة الأولى)}}**

### **« الاهتمام بالعقيدة »**

#### **تعريف العقيدة:**

العقيدة لغة: من عقد الشيء، وهو ضد الحل، وهو ماعقد عليه القلب وعزم عليه واتخذة عقيدة، ومنه قوله تعالى { **لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ** } الآية [سورة المائدة : 89]

اصطلاحاً: هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

أي ما يعتقد المسلم في الله وفي أسمائه وفي صفاته وفي أفعاله وفي القرآن ونحو ذلك، وما يعتقد في الملائكة وما يتعلق بهم، وما يعتقد في الكتب وفي الرسل وما يتعلق بذلك، وما يعتقد في اليوم الآخر وما يتعلق به من مسائل، وما يعتقد في القدر وما يتعلق به من مسائل، وغير ذلك مما سنتطرق إليه أثناء ذكر هذه الخصائص.

والعقيدة قسمان صحيحة وهي ما يعتقد أهل السنة والجماعة، وفاسدة وهي ما يعتقد أهل البدع الكبرى والصغرى كما سنبينه إن شاء الله في هذه الرسالة.

#### **تمهيد:**

إن هذه الميزة التي اختص بها أهل السنة والجماعة هي أهم خصائصهم، فإنهم فاقوا جميع الطوائف في هذا الباب، فإنه ما زل كثير من الناس وانحرف إلا في باب العقيدة، وما انحرف الكثير أيضاً إلا بسبب تهاونه بالعقيدة الصحيحة وعدم تعلم معتقد السلف الصالح، فوفق الله أهل السنة للاهتمام بالعقيدة الصحيحة علماً وعملاً ودعوة إلى ذلك، فصلحت بذلك دنياهم وتصلح أخراهم بإذن الله تبارك وتعالى، فإن العقيدة الصحيحة تنفع صاحبها بين يدي الله سبحانه وتعالى، بل إنها تنفعه في الدنيا قبل الآخرة، تنفعه من التخطيطات والانحرافات والمآزق والمزالق والنكبات، ويوم القيامة تنفعه عقيدته الصحيحة ولو كان مذنباً؛ لأنه لا يسلم من الذنوب إلا من سلم الله تبارك وتعالى.

فإن العقيدة الصحيحة تنفع صاحبها ولو كانت أعماله قليلة، فإن الله يرفع العبد بالعقيدة الصحيحة في الجنة درجات، قال بعض السلف: "أهل السنة إن قعدت بهم أعمالهم قامت بهم عقائدهم، وأهل البدع إن قامت بهم أعمالهم قعدت بهم عقائدهم" ١.هـ، وذلك لأن أهل البدع أصحاب عقائد باطلة، وكثير من أعمالهم فاسدة لا تنفعهم، بل كثير منها محبوبة لمخالفتها للكتاب والسنة، فهي ما بين بدع مردودة أو شركيات محبوبة، والله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم، وموافقا لسنة نبيه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فالعمل الصالح هو ما كان موافقا للكتاب والسنة، وكان على عقيدة صحيحة، فنسأل الله أن يثبتنا على العقيدة الصحيحة حتى نلقاه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ويخشى على أهل البدع من النار بسبب عقائدهم الباطلة، فهم تحت المشيئة إن شاء الله عذبهم وإن شاء غفر لهم كأصحاب المعاصي، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الثنتين والسبعين فرقة: "كلها في النار" وهم أهل البدع الصغرى، أما أصحاب البدع الكبرى فإنهم مخلصون في نار جهنم؛ لأنهم كفار.

**الشروع في الخصيصة الأولى وهي:**

### **{(الاهتمام بالعقيدة الصحيحة)}**

نبدأ بذكر الخصيصة الأولى والميزة الأولى لأهل السنة والجماعة وهي الاهتمام بالعقيدة الصحيحة، وقيدناها بالعقيدة الصحيحة احترازا من العقائد الباطلة؛ لأن هناك عقائد فاسدة تعتقدها الفرق المخالفة للسنة سنتطرق إلى بعضها في هذه الرسالة إن شاء الله تعالى.

فأهل السنة هم الوحيدون الذين يهتمون بالعقيدة الصحيحة، أما سائر الطوائف والفرق فإنهم لا يهتمون بالعقيدة الصحيحة، لا بالقول ولا بالفعل ولا بالوصف، بل يخالفون العقيدة الصحيحة في كثير من الأمور، ويعتقدون العقائد الفاسدة التي تخالف معتقد السلف، وإن أصاب بعضهم في أشياء فإنهم يخالفون في أشياء، ومن خالف أصلا من أصول المعتقد الصحيح فإنه في عداد أهل البدع وإن أصاب في بقية العقائد، فإن الواجب على المسلم أن يهتم

بعقيدة السلف جملة وتفصيلا حسب طاقته وفهمه لكن يجب عليه أن يجتهد في تعلم العقيدة الصحيحة والعمل بها، ويعتقد عقيدة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وصحابته في الله، وفي وجوده وفي علوه، وفي أسمائه وفي صفاته، وفي ربوبيته، وفي كلامه، ويعتقد العقيدة الصحيحة في الملائكة، وفي الرسل، ويعتقد العقيدة الصحيحة في القدر، ويعتقد العقيدة الصحيحة في اليوم الآخر، كالقبر ونعيمه وعذابه، والصراط والميزان والحوض والشفاعة والجنة والنار، وغير ذلك من العقائد التي يجب على المسلم أن يتعلمها، وكذلك يجب عليه أن يتعلم منهج السلف الصالح في جميع مسائل الدين؛ لأن كثيرا من أهل البدع زلوا في هذه المسائل، وهي أيضا في باب العقائد، إلا أن العقيدة أعم من المنهج ومن التوحيد، فالتوحيد والمنهج ونحو ذلك تشمله العقيدة.

فهناك طوائف زلت أقدامهم في باب الإيمان، فيجب على المسلم أن يعرف المعتقد الصحيح في مسائل الإيمان، وهناك طوائف زلت أقدامهم في باب الأسماء والصفات، فيجب على المسلم يتعلم العقيدة الصحيحة في باب الأسماء والصفات، وأن يتعلم العقيدة الصحيحة في باب الألوهية وفي باب الربوبية أيضا، وهناك طوائف زلت أقدامهم في باب القدر، فيجب على المسلم أن يتعلم العقيدة الصحيحة في باب القدر، وهناك طوائف زلت أقدامهم في باب أولياء الأمور، فيجب على المسلم أن يتعلم المعتقد الصحيح في أولياء الأمور وغير ذلك من العقائد؛ لأن هناك طوائف تعتقد عقائد باطلة، تعتقد غير ما اعتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته في هذه المسائل وفي غيرها مما سنتطرق إليه أو نشير إليه إشارة إن شاء الله تعالى:

## «عقيدة أهل السنة في الإيمان» :

تعريف الإيمان لغة: الإقرار والتصديق.

الإيمان اصطلاحاً: هو قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، والعاصي فاسق بمعصيته ناقص الإيمان، لا يكفر بالذنوب يرتكبه، إلا بذنب قد حكم عليه الشرع بأنه كافر.

ومن الأدلة على أن الإيمان يزيد وينقص، ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضع وسبعون - أو: بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان".

هذا الحديث جمع الثلاثة الأركان، وهي القلب واللسان والجوارح، فقوله: "أعلاها قول لا إله إلا الله" دليل على أن الإيمان قول، وقوله: "وأدناها إمطة الأذى عن الطريق": دليل على أن الإيمان عمل، وقوله: "والحياء شعبة من الإيمان": دليل على أن الإيمان اعتقاد، فالإيمان يكون قولاً وعملاً واعتقاداً.

ومن أدلة ذلك: ما رواه مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ".

فقوله: "فليغيره بيده" دليل على أن الإيمان يكون عملاً، وقوله: "فمن لم يستطع فبلسانه" دليل على أن الإيمان يكون قولاً، وقوله: "فإلم يستطع فبقلبه" دليل على أن الإيمان يكون بالقلب، وقوله: "وذلك أضعف الإيمان" دليل على أن الإيمان يزيد وينقص ويضعف.

هذا هو الإيمان عند أهل السنة والجماعة كما هو مقرر في كتبهم المدعمة بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح، أما الإيمان عند المرجئة: هو الإيمان بالقلب فقط، والإيمان عند الكرامية نطق باللسان فقط، والإيمان عند مرجئة الفقهاء بالقلب واللسان فقط، والإيمان عند الجهم بن صفوان معرفة القلب، وهذا يستلزم أن إبليس وفرعون مؤمنان عنده؛ لأنهما معترفان بالله في قلوبهما، فالإيمان عند الجهمية هو المعرفة، وعند المحاققة هم أجهل الخلق بربهم؛ لأنهم عطلوا الله تعالى عن أسمائه وصفاته.

إذن عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان أنه قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: "ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل".

**الإيمان عند المرجئة:**

الإيمان عند المرجئة ثابت لا يزيد ولا ينقص، وأخروا الأعمال عن مسمى الإيمان، فالمسلم عندهم كامل الإيمان ولو كان عاصيا، وإيمانه كإيمان جبريل عليه السلام، وكإيمان نبينا صلى الله عليه وسلم، وسواء عمل الطاعات أو عمل المعاصي، فالمعاصي عند المرجئة لا تنقص الإيمان، والمعاصي عندهم كامل الإيمان، واستدلوا بأدلة متشابهة كقوله تعالى: **{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }** [سورة الزمر : 53] ومعلوم أن هذه الآية مقيدة بالتوبة كما في آيات كثيرة من القرآن الكريم، لكن المرجئة نظروا إلى أدلة الرجاء وغفلوا عن أدلة الوعيد، فمن منهج أهل البدع بتر النصوص، والأخذ بجانب من النصوص دون الجوانب الأخرى، وبينما أهل السنة والجماعة جمعوا بين أدلة الوعد والوعيد، وجمعوا بين الخوف والرجاء، فقالوا المسلم العاصي ناقص الإيمان يُخشى عليه من النار وهو تحت المشيئة، إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه، فإن عذبه فمآله إلى الجنة بإيمانه وتوحيده، لا يخلد في النار بمعصيته، فأهل السنة يرجون للمحسن ويخافون على العاصي.

### الإيمان عند الخوارج:

عقيدة الخوارج في الإيمان يذهب وينتقض بمجرد ارتكاب الذنوب، بل يكفر العبد عندهم بارتكاب الذنب الواحد، واستدلوا بأدلة متشابهة أيضا كقوله تعالى: **{ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ }** [سورة النساء : 14]

فجعلوا كل معصية صغرت أم كبرت كفرا أكبر وصاحبها مخذ في نار جهنم، ومعلوم عند أهل السنة والجماعة أن هذه الآية في حق معصية الكفر الأكبر بأدلة أخرى معلومة لديهم، كقوله تعالى: **{ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }** [سورة البقرة : 81]

فإن الخطيئة التي أحاطت بصاحبها هي معصية الكفر، وهي المعصية المطلقة، لا مطلق المعاصي الغير مكفرة.

فالخوارج عمدوا في استدلالهم على كفر مرتكب الكبيرة إلى أدلة الوعيد وغفلوا عن أدلة الوعد والرجاء، بينما عمد المرجئة إلى أدلة الوعد والرجاء وغفلوا عن أدلة الوعيد فجعلوا العاصي كامل الإيمان وأن المعاصي لا تؤثر في إيمانه صغرت أو كبرت، وهذا هو دين أهل البدع أنهم يأخذون جانباً من النصوص ويتركون الجوانب الأخرى، بينما أهل السنة والجماعة ينظرون إلى جميع الأدلة في المسألة ثم يجمعون بينها، ويردون المتشابه إلى المحكم فيصير كله محكماً فيعملون به، ففي مسألة الإيمان جمعوا بين أدلة الوعد والوعيد وأدلة الخوف والرجاء، فتوسطوا بين الخوارج والمرجئة، فقالوا الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي،

### عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات:

إن عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات هي أنهم يثبتون لله ما أثبتته لنفسه وأثبتته رسوله صلى الله عليه وسلم، وينفون عنه ما نفى عنه ونفاه عنه رسوله، فيثبتون لله تعالى أسماءً حسنى وصفاتٍ عليا تليق به، بغير تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف، بينما أهل البدع ضلوا في هذا الباب، فمنهم من عطل الأسماء والصفات، ومنهم من عطل الصفات وأثبت الأسماء ومنهم من أثبت الأسماء وبعض الصفات، ومنهم من مثل صفات المولى جل وعلا بصفات خلقه، ومنهم من فوض المعاني، وهدى الله أهل السنة للحق بإذنه، فالجهمية نفوا الأسماء والصفات، والمعتزلة نفوا الصفات وأثبتوا الأسماء، قالوا لله أسماء وليس له صفات، فهو عليم بلا علم سميع بلا سمع، والأشاعرة أثبتوا الأسماء وسبع صفات فقط، ولم يثبتوها على مراد الله ورسوله، فقالوا في صفة الكلام: هو كلام نفساني، أو معنى قائم في الذات لا يتكلم هو بنفسه، وإنما جبريل عليه السلام هو الذي تكلم ويعبر عما في نفس الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، والممثلة أو المجسمة مثلوا صفات الله بصفات المخلوقين، فقالوا لله يد كيد الإنسان ووجه كوجه الإنسان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ومن أهل البدع من فوض المعاني فقالوا لا نعلم ما هو الوجه ولا نعلم ما هي اليد ونحو ذلك، وهذه من شر طوائف أهل البدع كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله؛ لأنهم فتحوا الباب للملاحدة والفلاسفة لتعطيل الذات الإلهية كما عطل المعطلة صفات الله سبحانه وتعالى.



فصار أهل البدع في طرفي نقيض، مابين غالي وجافي، فالجفاه بالغوا بالتنزيه حتى عطلوا، والغلاه بالغوا في الإثبات حتى مثلوا صفات الله بصفات المخلوق، وتوسط أهل السنة بين جميع الطوائف، فقالوا لله أسماء وصفات نثبتها لله كما أثبتنا لنفسه وأثبتنا رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف كما أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه العظيم وسنة نبيه الكريم، قال الله في كتابه العزيز: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}** [سورة الشورى : 11]

ففي هذه الآية الكريمة إثبات للأسماء والصفات، وفيها نفي التمثيل، وفيها رد على المعطلة والممثلة، فقله تعالى: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** رد على الممثلة، وقوله تعالى: **{وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}** رد على المعطلة، وفيها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات.

فأهل السنة أثبتوا لله وجهها كما أثبتنا لنفسه، استنادا إلى قوله تعالى **{وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}** [سورة الرحمن : 27]

فهو وجه يليق بجلاله من غير تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل، ولا تحريف، وكوننا نثبت لله وجهها ليس معناه أننا مثلناه بوجه المخلوق، فإن المخلوقات تختلف صفاتها فيما بينها، فوجه الإنسان يختلف عن وجه الفيل، ووجه الفيل يختلف عن وجه الذرة، مع الاشتراك في الاسم والمعنى، لكن لا يعني أن الاشتراك يكون في المسمى والكيفية، وهكذا اختلاف كيفيات الصفات بين الحيوانات وبين سائر المخلوقات ، فلو أثبتنا للذرة وجهها وأثبتنا للفيل وجهها لا يعني أننا شَبَهْنَا الذرة بالفيل، أو شَبَهْنَا الفيل بالذرة لا يقول هذا عاقل، ومن قال بهذا فإن الواقع سيكذبه، فإذا كان هذا التباين موجودا في المخلوقات فيما بينها البين، فمن باب أولى يكون التباين موجودا في حق الخالق سبحانه وتعالى وبين المخلوق، والله المثل الأعلى، فله وجه يباين وجوه المخلوقين، يُرد علم كيفيته إلى الله ؛ لأن الله تبارك وتعالى لم يخبرنا بكيفيات صفاته ولا أخبرنا نبيه صلى الله عليه وسلم بكيفية صفاته، ولم يره أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، فإن بينه وبين خلقه حجابا لو كشفه لاحترق خلقه، كما روى مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: **"حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ"**



فإذا أثبتنا لله سبحانه وتعالى عينيّن يبصر بهما، وسمعاً يسمع به، فهو سميع بصير، فلا يلزم أننا شبهناه بالإنسان القاصر الناقص من كل وجه، وإن كان له سمع وبصر لكنه يليق به وعلى قدره، وإليكم التباين بين سمع الله وبصره وبين سمع الإنسان وبصره، فإن الإنسان له سمع وبصر على ما يليق به، يرى شيئاً واحداً لا يتجاوزه، وإذا بُعد فإنه لا يراه، ويسمع صوتاً واحداً لا يتجاوزه إلى غيره، فإذا وجد صوتان أو كثرت الأصوات التبست على الإنسان، لكن الله سبحانه وتعالى -وله المثل الأعلى- يسمع جميع الأصوات على مختلف اللغات بتفنن اللهجات، يسمع ويرى العالم العلوي والعالم السفلي في آن واحد، يعطي هذا ويسمع هذا، يغني هذا ويقدر على هذا، يسمع جميع الأصوات ويبصر جميع المرئيات في آن واحد، لا يشغله شيء عن شيء وهو فوق عرشه لا يخفى عليه شيء من مخلوقاته سبحانه، فأين المشابهة بين سمع الله وبصره وبين سمع الإنسان وبصره؟! قالت عائشة رضي الله عنها في قصة المجادلة: "إني في الحجرة وإنه ليخفى عليّ بعض كلامها، وسمعها الله من فوق سبع سماوات فسبحان من وسع سمعه الأصوات". أو كما قالت رضي الله عنها

إذن لا مماثلة بين صفات الله وصفات خلقه، فإننا نثبت لله سبحانه وتعالى ما أثبتته لنفسه وأثبتته رسوله من الصفات التي جاءت في الكتاب والسنة بلا زيادة ولا نقصان، نثبتها بالدليل من الكتاب والسنة، فلا تثبت برأي ولا اجتهد ولا قياس، هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات.

أما معاني صفاته فهي معلومه، فإن الله تعالى خاطبنا بلسان عربي مبين، ولم يخاطبنا بكلام له باطن لا يُعرف معناه، فإن هذا لا تقتضيه حكمة الباري سبحانه وتعالى، ولا تقتضيه لغة القرآن وبلاغته وفصاحته، أما يوم القيامة فإن المؤمنين يرون ربهم بصفاته وكيفياتها، فإن لصفات الله كيفيات لكن لا يعلمها إلا هو، وستظهر يوم القيامة للمؤمنين، فإنهم يرون ربهم سبحانه وتعالى، فإن من معتقد أهل السنة والجماعة أن الله تعالى ينزل لفصل القضاء يوم القيامة فيراه المؤمنون في عرصات القيامة وفي الجنة، وهذا هو أعظم نعيمهم في الجنة إذ يتلذذون بالنظر إلى وجهه الكريم، وهو الزيادة التي أشار الله إليها في قوله تعالى: **{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ}** [سورة يونس :

أما أهل البدع فقد خاضوا في صفات الله ما بين معطل وممثل، وكما قيل المعطلة يعبدون عدما، والممثلة يعبدون صنما، فالممثلة والمعطلة كفار لا يعبدون الله سبحانه وتعالى لأن المعطلة عطلوا الله عن أسمائه وصفاته وهذا كفر، والممثلة شبهوا صفات الله بصفات المخلوقين وهذا كفر أيضا، قال نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ الْخُرَاعِيُّ رحمه الله وهو شَيْخُ الْبُخَّارِيِّ -: "من شبه الله بخلقه فَقَدْ كَفَرَ، ومن جَدَّ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ فِيمَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا رَسُولُهُ تَشْبِيهًا". هـ

وأما أهل السنة فإنهم أثبتوا ونزهوا ووقفوا حيث وقف السلف الصالح، فإنهم بالدليل أثبتوا، وعن علم وقفوا، ولم يخوضوا فيما ليس لهم به علم كما خاض أهل البدع، ولو كان الخوض في ذلك خيرا لسبقهم إليه سلفهم، ولو كان السؤال عن كيفية صفات الله جائزا لسألوا، فقد سئل الإمام مالك رحمه الله تعالى (الرحمن كيف استوى؟) قال: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة" ثم أخرج السائل من الحلقة لكثرة تعنته وخوضه في هذا المسائل، فإن من كمال التوحيد إثبات ما أثبتته الله لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العليا، وتنزيهه عما لا يليق به، وإن من الشرك بالله لهو تعطيل الله تعالى عن أسمائه وصفاته أو تمثيلها أو تحريفها أو تكييفها، هذا كله من الشرك في باب الأسماء والصفات، والناس في هذا الباب على ثلاثة أقسام، غالي وجافي ووسط، فالغلاة هم الممثلة، والجفاة هم المعطلة، والوسط هم أهل السنة.

وسياتي زيادة بيان عند الخصيصة الثالثة عشرة وهي أن أهل السنة وسط بين جميع الطوائف، ومنها في باب الأسماء والصفات.

### عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم:

أهل السنة يعتقدون في القرآن أنه كلام الله صفة من صفاته غير مخلوق، تكلم به بحرف وصوت، فمن صفات الله الكلام، والقرآن من كلامه، قال سبحانه وتعالى: **{ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا }** [سورة النساء : 164]

أما المعطلة الذين تقدم ذكرهم فقد خاضوا في صفة الكلام وفي القرآن الكريم فيما لا علم لهم به، وقالوا في القرآن الكريم قولا عظيما، فقالوا: إنه مخلوق، وأن الله تعالى لم يتكلم! قالوا متعللين لو أثبتنا له الكلام لمثلناه بالمخلوق، فيرد

عليهم : بأنه لا يلزم من إثبات صفة الكلام لله تعالى تشبيهه بالمخلوق، كما تقدم ضرب الأمثلة في الوجه والسمع والبصر، فله صفات تليق بجلاله سبحانه وتعالى، ومنها الكلام، فالمعطلة أرادوا أن ينزهوا الله عن مماثلة المخلوقين فوقعوا في مستنقع التعطيل، وهم في الحقيقة قد مثلوا صفات الله بصفات المخلوقين؛ لأنهم لم يعطلوا إلا بعد أن مروا بمرحلة التمثيل إذ قاسوا صفات الله على صفات خلقه ومن ثمَّ عطلوا، وسيأتي زيادة بيان حول صفة الكلام ومنه القرآن عند الخصيصة الثالثة عشرة وهي الوسطية، ذكرنا فيها أقسام الناس في كلام الله تبارك وتعالى.

### عقيدة أهل السنة والجماعة في أولياء الأمور المسلمين:

إن عقيدة أهل السنة والجماعة في أولياء أمور المسلمين لهي طاعتهم والصبر عليهم وإن جاروا وظلموا، مع بذل النصح لهم سرا، وعدم التشهير بهم أمام رعيّتهم، فعلى هذا صار السلف، ودرج عليه خير الخلف، فأهل السنة لا ينزعون يدا من طاعة ولا يشهرون بهم على المنابر، ولا يهيجون الشعوب عليهم، طاعة لله وطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم، والأدلة في ذلك كثيرة ومستفيضة وصريحة، منها قوله تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا }** [سورة النساء : 59]

فإن في طاعة أولياء الأمور مصالح عظيمة وإن كانوا ظلمة، وبالمقابل فإنه يترتب على الخروج عليهم مفسد كثيرة لاتخفى على ذوي الإنصاف من أولي الألباب، ولا يخفى على أحد ماذا حصل للمسلمين من مآسي وقتل وقتال وأزمات وضعف للمسلمين وتسلبت الأعداء عليهم، بسبب ثورة الخوارج الذين خرجوا على أولياء أمورهم قبل اثني عشر عاما، فقد حصل للأمة العربية والإسلامية ضعف وشتات وتفرق وأزمات وقتل وقتال وضياع حقوق ومخاوف وتسلبت الأعداء، ولا يزال المسلمون يعانون من سلبات ذلك الخروج إلى اليوم وإلى أن يشاء الله، فقد أهلك تلك الثورة الحرث والنسل بسبب خروج الخوارج على أولياء أمورهم المسلمين، ولا يستطيع أحد أن ينكر هذا، وكم حذر أهل السنة من هذه الفتنة حتى بُحَّت أصواتهم.

وهذا مما يدل على سلامة معتقد أهل السنة والله الحمد، فإن عقيدتهم صحيحة ، فيها الخير والسلامة للأمة.

فلو أن الناس اعتقدوا عقيدة أهل السنة، وأخذوا بتوجيهاتهم وإرشاداتهم في مختلف المجالات ما اختلف اثنان ولما حصل الذي حصل مما يعانيه المسلمون اليوم.

إذن فإن العقيدة الصحيحة في أولياء الأمور هي الصبر عليهم وإن جاروا وإن ظلموا، قال بعض السلف: "إمام عادل خير من مطر وابل، وإمام ظلم غشوم خير من فتنة تدوم" أظنه جاء عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وصدق رحمه الله، فقد كان الناس في نعمة وعافية وإن وُجد شيء من الظلم، لكنه لا يقارن بالفتن الحاصلة اليوم بسبب ذلك الخروج، بل لا يذكر بجانبها، فالصبر على السلطان الظالم أهون من الصبر على مثل هذه الفتن، والله المستعان.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: "لو أن لي دعوة مستجابة لجعلتها للإمام، لأن به صلاح الرعية، فإذا صلح أمنت العباد والبلاد" اهـ.

وقال الحسن البصري رحمه الله: "الحكام يلون من أمور المسلمين خمسا: الجمعة، والجماعات، والعيد، والثغور، والحدود، والله لا يستقيم الدين إلا بهم وإن جاروا وظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، وإن طاعتهم لغبطة، وإن فرقهم لكفر" اهـ.

وقال الألباني رحمه الله: "ولذلك فلا يجوز الخروج عليهم وقتالهم،

ليس حبًا لأعمالهم، وإنما درءًا للفتنة، وصبرًا على ظلمهم في غير معصية لله عز وجل" اهـ. ثم ساق حديث حذيفة الذي رواه الإمام مسلم والطبراني عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ، فَجَاءَ اللَّهُ بِخَيْرٍ فَفَنَحْنُ فِيهِ، فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ ؟ قَالَ : " نَعَمْ " . قُلْتُ : هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ ؟ قَالَ : " نَعَمْ " . قُلْتُ : فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ ؟ قَالَ : " نَعَمْ " . قُلْتُ : كَيْفَ ؟ قَالَ : " يَكُونُ بَعْدِي أُمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهَدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رَجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ " . قَالَ : قُلْتُ : كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : " تَسْمَعُ وَتَطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرُكَ، وَأَخَذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ "

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وأقوال السلف في طاعة أولياء الأمور والصبر عليهم أكثر، لكن الخوارج قوم لا يفقهون، ولا يباليون بهذه الأدلة، بل عمدوا إلى تأويلها وتحريف معانيها كأمثال الإخوان المفلسين لا سامحهم الله، وسيحملون تبعات كل مظلوم ظلم في عرضه أو في ماله، وتبعات كل مقتول قتل ظلماً، وسيحاسبون على كل قطرة دم سفكت بغير حق؛ لأنهم هم من أشعل نار الفتنة وأجج تلك الثورة ضد الحكام المسلمين.

وهكذا كل الخوارج لا خير فيهم، فقد خرجوا على عثمان رضي الله عنه، ومن خير من عثمان في زمانه؟ قتلوه ظلماً وعدواناً، وهكذا خرجوا على علي رضي الله عنه ثم قتلوه، ومن خير من علي في زمانه؟، وهكذا لا يزالون يخرجون على أولياء الأمور المسلمين إلى أن تقوم الساعة، لكنهم ينتكسون كلما ظهر قرن انكسر ولن يفلحوا، فإنه ما انتصر خارجي أبداً على مر التاريخ، وما نصر الله الدين بخارجي ولا مبتدع، فإنه ما خرج خارجي إلا كان عاقبة أمره خسرًا بحمد الله تبارك وتعالى، لكنهم لا يعقلون ولا يعتبرون، بل ولا يزالون يلبسون على الناس، ويوردون عليهم الشبهات والمتشابهات من النصوص، فينزلون الأدلة العامة كأدلة النهي على المنكر على أولياء الأمور، كحديث: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده" ويتجاهلون أدلة الصبر على أولياء الأمور ويتعاملون عنها، وقد جاءت أحاديث خاصة في معاملة أولياء الأمور، فليس معاملتهم كسائر الناس، وقد أوضحت ذلك في كتاب (نصف شبهات المتحزبين) في الرد على الشبهة ٢٩ وهي قولهم "[يجوز الخروج على الحاكم الظالم وإنما جاء النهي عن الخروج على الحاكم العادل]". فالخوارج يخرجون على المسلمين ويزعمون أنهم مجاهدون في سبيل الله! إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، كما قال تعالى: **{ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُوا لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ }** [سورة الحج : 46]

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم عن الخوارج أنهم "يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان" رواه أبو داود وغيره عن أبي سعيد رضي الله عنه.

فهذا هو المشاهد وهو الواقع من الخوارج، فإنهم لم يقتلوا مشركاً ولا وثنياً ولا يهودياً ولا نصرانياً، إنما قتلوا المسلمين، ابتداءً من عثمان رضي الله

عنه ثم علي رضي الله عنه، وهكذا لا يرفعون السيوف عن المسلمين إلى أن تقوم الساعة، بل قد خرجوا على النبي عليه الصلاة والسلام وحذر منهم وذكر صفاتهم، فأول خارجي في الإسلام هو ذو الخويصرة التميمي الذي قال اعدل يا محمد، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قسم قسما فتألف أناسا فجاء رجل كَتُّ اللَّحْيَةِ ، مُشْرِفُ الْوَجَنَتَيْنِ ، غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ ، نَاتِيُ الْجَبِينِ ، مَخْلُوقُ الرَّأْسِ ، فَقَالَ : اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِنَّ عَصِيئَتَهُ ؟ أَيَأْمَنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَلَا تَأْمَنُونِي ؟ " . قَالَ : ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ ، فَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فِي قَتْلِهِ - يُرَوْنَ أَنَّهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ مِنْ ضَنْضِي هَذَا قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ لَنِّ أَدْرَكْتَهُمْ ؛ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ " .

فلا تغتر يا أيها المسلم بالمظاهر حتى تنظر في المخابر والمناهج، فإن كثيرا من الناس يغترون بمثل هؤلاء بسبب أن فيهم خطباء وقرّاء وحفاظا وعبادا وزهادا وأنهم أصحاب لحى كثة وأثواب وعمائم إلى غير ذلك، هذه الأمور لا تكفي وحدها، وليست علامة على صحة المنهج وسلامة المعتقد حتى يوافق صاحبها منهج السلف الصالح في العقائد والمعاملات، وإلا فكثير من أهل البدع يرتدون الملباس الشرعية ويحفظون القرآن ونحو ذلك وهم أهل ضلال كهؤلاء الذين حذر منهم النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فقال فيهم: " يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم " أي ليس معهم من القرآن إلا القراءة أي صوت الحنجرة وحركة اللسان فقط، فلا يدخل إلى قلوبهم فيتدبرونه ولا يصل إلى جوارحهم فيعملون به، (يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم)، فهكذا كثير من أهل البدع، وهكذا الخوارج يلبسون على الناس أنهم صالحون وأنهم مجاهدون في سبيل الله وأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وهم في الحقيقة أخطر على الإسلام والمسلمين من العدو الظاهر، لأنهم جاءوا باسم الدين وينخرونه من الخلف لكنهم لن يضرروه، وإنما ضرروا أنفسهم، وفي المقابل فإنهم لم ينصروا الدين يوما من الدهر، بل ما جنوا للإسلام والمسلمين إلا الأزمات والنكبات، فإنهم معاول هدم بأيدي أعداء الإسلام، ولكن يافصيح لمن تصيح.

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيَا\*\*\* وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي



ولو نَارًا نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَتْ\*\*\* وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادٍ.

### عقيدة أهل السنة والجماعة في الشفاعة لأهل المعاصي.

الشفاعة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، وأما أهل البدع فقد أنكروها، ولم يثبتوا إلا الشفاعة العظمى فقط، فأولوا النصوص التي فيها إثبات الشفاعة، وضعفوا بعضها بحجة أنها أحاديث أحاد، وقد تظافرت الأدلة، وتواترت نصوص الكتاب والسنة في إثبات الشفاعات العامة والخاصة، منها الشفاعة لأهل الكبائر من أهل التوحيد.

فقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ "

وروى أبو داود وغيره عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي "، صححه العلامة تان الألباني والوادعي.

فمعتقد أهل السنة والجماعة أن صاحب الكبيرة من المسلمين تحت مشيئة الله تعالى إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، فإن عذبه فإنه لا يخلد في النار، بل يخرج من النار ينفعه الله بتوحيده وبشفاعة الشافعين، قال تعالى: ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء : 48]

وروى البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : " يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزَنُّ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزَنُّ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزَنُّ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ "

أما الخوارج قالوا: إن صاحب الكبيرة كافر مخلد في النار، وقال المعتزلة : هو في منزلة بين المنزلتين، فلا هو مسلم ولا هو كافر، لكنهم اتفقوا مع الخوارج بأنه مخلد في النار، وبناء على ذلك أنكروا الصراط الذي يمد فوق جهنم، وهذه عقيدة باطلة ترددها الأدلة، وقد تقدم ذكر بعضها، فإن معتقد أهل

السنة والجماعة في صاحب المعصية أنه ليس بكافر ولا مخذ في النار إلا من استحل ذنبا فإنه يكفر.

### عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة وآل البيت رضوان الله عليهم.

مختصر القول في عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة أنهم يجلونهم ويحترمونهم ويتأسون بهم ويترضون عنهم كما رضي الله عنهم ورضي عنهم رسوله صلى الله عليه وسلم ومات وهو عنهم راضٍ، فلا يطعنون فيهم كما طعن فيهم أهل البدع كالناصبية وغيرهم، إذ كفروا بعضهم وقدحوا في البعض الآخر، ولم يغلوا أهل السنة فيهم كما غلت الصوفية فيهم إذ رفعوهم فوق منازلهم وأعطوهم بعض صفات الربوبية والألوهية، وأنهم يتصرفون في الكون حتى عبدوهم من دون الله، وسألوهم من دون الله، وبنوا على قبورهم القباب فاتخذوها مزارات وأماكن للقربات يتقربون عندها ويذبحون لها ويشركون بالله عندها.

ومعتقد أهل السنة والجماعة في آل البيت احترامهم أيضا والترضي عنهم كما رضي الله عنهم وأوصى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا، فلم يغلوا فيهم كما غلا فيهم بعض أهل البدع إذ أعطوهم بعض صفات الألوهية والربوبية واعتقدوا فيهم العصمة والرجعة والولاية، ولم يطعن أهل السنة في آل البيت كما طعن فيهم الناصبة ونصبوا لهم العدا، فأهل السنة وسط بين جميع الطوائف.

وقد ألف أهل العلم كتباً في فضائل الصحابة وآل البيت فارجع إليها إن شئت، ككتاب فضائل الصحابة للإمام أحمد وفضائل الصحابة للنسائي وفضائل الصحابة للدارقطني وغيرها، وكتاب أسد الغابة لابن الأثير، وسير أعلام النبلاء للذهبي، وكتاب لمعة الاعتقاد، وكتاب القواعد المثلى، وكتاب العقيدة الواسطية، وكتاب العقيدة الطحاوية، مع شرروحاتها تجد ما يشفي الغليل ويروي العليل.

وهناك مسائل كثيرة في العقيدة اعتنى بها أهل السنة والجماعة، تركنا ذكرها هنا خشية الإطالة واقتصرنا على الأهم منها، وبقي الكثير كالإيمان بالقدر خيره وشره، وعذاب القبر ونعيمة، والحوض والميزان والصراط والجنة



والنار والملائكة والكتب ونحو ذلك مما هو مدون في كتب العقيدة التي أشرنا إلى بعضها ،وأدلتها كثيرة من الكتاب والسنة والله الحمد والمنة.

## **[[الخصيصة الثانية]]**

### **«الاهتمام بالتوحيد»**

إن من أهم خصائص أهل السنة والجماعة لهو الاهتمام بالتوحيد،وهو أخص من العقيدة،إذ إن التوحيد يدخل تحت العقيدة ويندرج تحتها ، فإن العقيدة تشمل الاعتقاد في الله وفي أسمائه وفي صفاته وفي اليوم الآخر وفي القدر وفي الإيمان، ومسائل كثيرة ومنها التوحيد.

والتوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

أما توحيد الربوبية فلا خلاف بين الأنبياء وأقوامهم فيه إلا من شذ كفرعون والنمرود والدهرية،وهكذا لم يكن الخلاف بين النبي صلى الله عليه وسلم ومشركي قريش في توحيد الربوبية،فإنهم كانوا يعترفون بتوحيد الربوبية، ولكنهم لم يقرؤا بتوحيد الألوهية فلم ينفعهم ذلك ولم يدخلهم في الإسلام،بل قاتلهم واستحل دماءهم،فتكريس الجهود في الدعوة إلى توحيد الربوبية تحصيل حاصل إلا لما لا بد منه كما لو حصل شرك في الربوبية من عباد القبور الذين يعتقدون أن الأولياء والصالحين يتصرفون في الكون،ويخلقون ويرزقون ونحو ذلك،فهذا شرك في الربوبية يُحذر منه،وأكثر من يهتم بالدعوة إلى توحيد الربوبية ويهمل توحيد الألوهية هم الإخوان المفلسون من أجل التطرق إلى توحيد الحاكمية والغرض من ذلك تكفير الحكام المسلمين ومن ثمَّ الخروج عليهم ثم التوصل إلى الحكم،لكنهم يغفلون عن توحيد الألوهية ويتغافلون عن الدعوة إليه،والذي يجب على كل داعية أن يكرس جهوده في الدعوة إلى توحيد الألوهية؛لأن هذا القسم هو الذي حصل فيه الشرك عند المتقدمين والمتأخرين،بل وجد ممن ينتسب إلى الدين وإلى العلم والصلاح وهو يدعو إلى شرك الألوهية نهاراً جهاراً ومن على المنابر أمثال الصوفية، فلذلك اعتنى أهل السنة والجماعة بالدعوة إلى توحيد الألوهية

وصار ذلك من أبرز خصائصهم، فإنهم هم الوحيدون الذين يهتمون بالدعوة إلى التوحيد ويحثون الناس على تعلم التوحيد والعمل بالتوحيد والدعوة إلى التوحيد، ويحذرون من الشرك وذرائعه ووسائله المفضية إليه؛ لأن الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك هي دعوة الأنبياء، وأهل السنة هم أتباع الأنبياء وعلى رأسهم نبينا صلى الله عليه وسلم، قال الله: **{ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ افْتَدَتْهُ }** [الآية] سورة الأنعام : 90

فقد اتفقت دعوة الأنبياء قاطبة إلى الدعوة إلى التوحيد، قال تعالى: **{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ }** [سورة الأنبياء : 25]

فدعوة أهل السنة والجماعة مستمدة من دعوة الأنبياء، ودعوتهم واحدة لا اختلاف بينهم، وأصل دعوة الأنبياء هي الدعوة إلى التوحيد، بل إن الله سبحانه وتعالى ما خلق الخلق إلا لهذا، وهو أن يعبد ويوحّد ولا يشرك به شيئاً، قال تعالى: **{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }** [سورة الذاريات : 56]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله تعالى ومعنى: **{إلا ليعبدون}** أي ليوحدون، فمن خصائص أهل السنة والجماعة الاهتمام بالدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك، وكتب أهل السنة بل كتب السلف تزرخ بالتوحيد والتحذير من الشرك، وقرأ في كتب شيخ الإسلام بن تيمية وكتب ابن القيم، تراهم جعلوا التوحيد نصب أعينهم، وهكذا من جاء بعدهم من علماء السنة إلى زماننا هذا، فانظر في كتب الألباني وابن باز، والعثيمين والوادعي، والفوزان، والحجوري وغيرهم، رحم الله أمواتهم وحفظ أحيائهم كلهم يعتنون بالتوحيد كتابة ودعوة وعملا.

وهكذا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله فقد نفع الله بدعوته وبكتبه الأمة نفعا عظيما وأنقذ الله بها فئاما من الناس كانوا غارقين في الشركيات والخرافات وعبادة القبور، فقد جعل الله في دعوته البركة بسبب اهتمامه بالتوحيد وصارت كتبه تدرس في جميع مراكز أهل السنة والجماعة وأكثرها كتب توحيد، ومن مشايخ السنة المعاصرين شيخنا العلامة يحيى الحجوري حفظه فقد نفع الله بدعوته وبكتبه الإسلام والمسلمين، فقد اعتنى بالتوحيد علما وتعلّما وعملا ونافع عنه وحذر من الشرك وأهله فجعل

الله البركة في دعوته، وهكذا كل دعوة تقوم على التوحيد ينفع الله بها ويبارك فيها وفي أهلها، وأيما دعوة لاتهتم بالتوحيد تنزع البركة منها ويقل نفعها.

فمن أسس دعوة أهل السنة والجماعة، الدعوة إلى توحيد الله والتحذير من الشرك بالله؛ لأن الشرك أعظم معصية عصي الله بها في الأرض، قال تعالى: **{ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }** [سورة لقمان : 13]

وروى البخاري ومسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً، وَهُوَ خَلْقَكَ " الحديث، الشرك بالله أن يجعل العبد لله شبيها ومعبودا ونظيرا لا يملك له نفعاً ولا يدفع عنه ضراً، فالشرك بالله أعظم من قتل النفس، بل أعظم من أن ينكح الرجل أمه، لو سمع العوام أن رجلاً يأتي أمه، ربما يقطعونه إرباً إرباً، لكن كثيراً منهم يغفلون أن الشرك بالله أعظم من أن يأتي الرجل أمه، فلا بد أن يعظم أمر الشرك وأن يقبح عند العامة كما يقبح عندهم إتيان الرجل أمه؛ لأن الشرك أعظم معصية، كيف يجعل العبد لله ندا وهو الذي خلقه ورزقه وحفظه، ولهذا رتب الله على الشرك أعظم العقوبات، وضرب له أقبح الأمثال، قال الله: **{ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ } وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ }** [سورة الحج : 31]

فانظر يارعاك الله إلى هذا المثل البليغ الذي بين الله فيه حقيقة الشرك ومآل صاحبه، وهو أنه جعل المشرك كمن يسقط من السماء فتتمزق أشلاؤه وتتكسر عظامه ثم تأخذه الريح إلى مكان سحيق بعيد مهلك، ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى لا يغفر للمشرك إن مات عليه، ولا يدخل الجنة ومأواه النار خالداً مخلداً فيها أبداً، وهذا في حق صاحب الشرك الأكبر، فإن جميع الذنوب عسى الله أن يغفرها إلا الشرك، كل ذنب تحت مشيئة الله تعالى غير الشرك، قال تعالى: **{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا }** [سورة النساء : 116]

وهكذا فإن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مليئان بالتحذير من الشرك وذكر عواقبه الدنيوية والأخروية وماذا حل بالمشركين من الأمم الغابرة قبلنا، وذكر دعاة التوحيد وكيف مكن الله لهم في الأرض، وقيض الله

في هذه الأمة من يدعو إلى توحيد الله ويحذر من الشرك بالله، وقد جعل الله سبحانه وتعالى البركة في دعوة أهل السنة والجماعة ونفع الله بها؛ لأنها تقوم على هذا الأصل الأصيل والركن الوثيق، وهو الاهتمام بالتوحيد والتحذير من الشرك علما وعملا ودعوة، وانظر كيف جعل الله البركة في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله، وانظر إلى ذلك الكتيب الصغير كتاب التوحيد كيف ملأ الأرض، واعتنى به أهل العلم شرحا وتعليقا وتدريسا، فترى شروحات هذا الكتاب في مجلدات قد ملأت المكتبات ونفع الله به العرب والعجم ببركة الدعوة إلى التوحيد، وهكذا كتب الأئمة الذين تقدم ذكرهم وغيرهم جعل الله في دعوتهم البركة وانتفع المسلمون بها، فالذي لا يهتم بالدعوة إلى التوحيد تحقق بركة دعوته، وتتضائل وتذهب أدراج الرياح.

فمن أهم خصائص أهل السنة والجماعة الاهتمام بالتوحيد والدعوة إليه، والتحذير من الشرك، فإن أول ما يدعون الناس إليه ويعلمونهم إياه لهو توحيد الله تبارك وتعالى، ومع هذا تجد من يحذر من دعوتهم كالمتحزبة والمتصوفة، وغيرهم من أعداء السنة، لكن لأهل السنة أسوة بالأنبياء فقد أودوا وعودوا وما نقموا منهم إلا أنهم دعوا أقوامهم إلى توحيد الله وحذروهم من الشرك، قال تعالى: **{ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [سورة البروج : 8 ] }**

بل يوجد في أوساط المسلمين من يدعو إلى الشرك بالله من عبادة القبور والطواف حولها والذبح للأولياء والصالحين ودعائهم من دون الله وهم الصوفية القبوريون ومن نحا نحوهم، فليحذر المسلمون من هذه الطوائف فإنهم دعاة شرك ووثنية، ويلبسون على الناس أن التوحيد هو تعظيم الأولياء والذبح لهم والنذر لهم والاستغاثة بهم والعياذ بالله، وهكذا يوجد طوائف وأحزاب تحارب أهل التوحيد والدعوة إلى التوحيد ويزهدون في تعلم التوحيد، ويلمزون أهل التوحيد كأمثال الإخوان المسلمين، إذ يقولون: إن أهل السنة شغلوا أنفسهم بالتوحيد، وبشرك القبور وتركوا شرك القصور، التوحيد سنأخذه في ربع ساعة، وغير ذلك من الضلال والخذلان وعدم السداد والتوفيق، إذ يهرفون بما لا يعرفون، ولا يدرون ما يخرج من رؤوسهم، فيا سبحان الله! أهل السنة شغلوا أنفسهم بالتوحيد؟! فماذا كان يصنع النبي عليه الصلاة والسلام من أول دعوته إلى آخرها؟! فقد التوحيد شغله الشاغل قولا

وعملا ودعوة، فقد مكث في مكة إحدى عشرة عاما يدعو إلى توحيد الله، وإلى تحقيق لا إله إلا الله، لم يدع إلى الصلاة التي هي عمود الدين من أول أمره، بل لم تفرض إلا بعد عشر سنوات من بعثته؛ لأنه مشغول بالدعوة إلى التوحيد لأهميته. ولما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن قال " إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، " الحديث رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما واللفظ للبخاري.

فقوله: "فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ" مفهومه: إن لم يطيعوك في توحيد الله فلا تدعهم إلى الصلاة؛ لأن الصلاة لا تنفع صاحبها إلا مع التوحيد، بل لا تقبل من مشرك؛ لأن الشرك يحبط جميع الأعمال، قال تعالى: **{ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }** [سورة الأنعام : 88]

وقال تعالى: **{ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا }** [سورة الفرقان : 23]

فكيف يأتي جاهل ويقول شغلتم أنفسكم بالتوحيد، و سنأخذ التوحيد في ربع ساعة، نعوذ بالله من الخذلان فلقد كانت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم من أول بعثته إلى أن توفاه الله إلى توحيد الله، مكث ثلاثا وعشرين سنة يدعو إلى التوحيد، ومات وهو يحذر من الشرك، ففي مرض موته الذي لم يقم منه يقول: " لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ". يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا. متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها.

ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن ذرائع الشرك وسد كل باب يفضي إلى الشرك وحمى جناب التوحيد، فمن ذلك أنه نهى عن البناء على القبور وعن تجصيصها والكتابة عليها والصلاة إليها، ونهى أن يتخذ قبره عيداً، كل هذا لئلا تُعبد القبور من دون الله، ثم يأتي من يتفوه بملء فيه: شغلتم أنفسكم بشرك القبور، وتركتم شرك القصور!.

ومعلوم من هذا أنهم يريدون التحذير من الحكام والخروج عليهم وتكفيرهم وتأجيج الفتن للتوصل إلى الحكم، فهذه هي دعوتهم، فهؤلاء لا أمان لهم، فإنهم معاول عدم للإسلام؛ لأنهم ليسوا حول التوحيد والتحذير من الشرك، ولا هم حول الدين والدعوة إليه، ولا هم حول السنة والتحذير من البدع، هم حول

دنيا ومناصب، فالواقع يشرحهم و دعوتهم تفضحهم، وإن تمكنوا من الحكم فليسوا حول دعوة إلى التوحيد؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه؛ ولأنهم لم يبنوا دعوتهم على أساس سليم ولا على أصل أصيل، ولا عقيدة صحيحة، إنما بنوا دعوتهم على دنيا، فيما أنهم لم يهتموا بالتوحيد ولا يزالون محكومين، فلن يهتموا بالتوحيد إذا صاروا حاكمين، وواقعهم شاهد عليهم، فإن الذين تمكنوا منهم من الحكم لم يهتموا بالتوحيد ولا بالدعوة إليه، وبالمقابل تراهم غارقين في الشراكيات والخرافات، ربما تسمع من كبارهم من يحلف بغير الله، ويتقارب مع المشركين، ويشيد بالعلمانيين، ومع هذا تجدهم يزهدون من أمر التوحيد ويحذرون من دعائه .

الشاهد أن أهل السنة والجماعة تميزوا بهذه الميزة المباركة وانفردوا بها، وهي الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك، وهذا من حفظ الله لهذا الدين، إذ سخر له طائفة تقوم به حق القيام إلى قيام الساعة والله الحمد والمنة.

### **{{(الخصيصة الثالثة)}}**

#### **«الاهتمام بالسنة والثبات عليها»**

ومن أبرز خصائص أهل السنة والجماعة أنهم هم الوحيدون الذين يهتمون بالسنة جملة وتفصيلا، علما وعملا ودعوة، سواء كانت واجبة أو مستحبة، ولذلك سموا بأهل السنة، وبالمقابل فإنهم يبتعدون عن البدع ويحذرون منها ومن أهلها؛ لأن الشيء لا يتحقق إلا بنفي ضده، عملا بقوله صلى الله عليه وسلم: **"فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**" .رواه أبو داود وغيره عن العرباض رضي الله عنه.

"عليكم بسنتي": أي الزموا سنتي. "عضوا عليها بالنواجذ": أي تمسكوا بها بالأضراس، كناية عن شدة التمسك بها، وإشارة إلى وجود المنازع فيها والمحذر منها والمخذل عنها، والمقصود: إذا وُجد هذا فتمسكوا بالسنة تمسك الغريق الذي يسقط في البحر فيمسك بالحبل بيدبه وأضراسه لينجو بنفسه، وهكذا نحن بحاجة إلى أن نتمسك بالسنة بأيدينا وأرجلنا وأضراسنا وأسماعنا



وأبصارنا وفي أقوالنا وأفعالنا وصفاتنا وسائر أحوالنا وفي جميع أمورنا، لا سيما ونحن في زمان كثرت فيه الفتن وتلاطمت أمواجه وكثر أعداء السنة وظهر المخذلون عن السنة من الداخل والخارج، فهدى الله أهل السنة للتمسك بالسنة والدعوة إليها والصبر عليها في السراء والضراء، بل كلما كثرت الفتن ازدادوا تمسكا بالسنة وتميزا بها عن غيرهم، وإن أصابهم شيء من الابتلاء، فيزداد أجرهم ويكثر خيرهم وتكون العاقبة لهم وينجون من الفتن بإذن الله تعالى، فقد ثبت عند الحكيم الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"التمسك بسنتي عند اختلاف أمتي كالقَبْضِ عَلَى الجمر"**

فنحن في زمان صار الذي يتمسك بالسنة كالقَبْضِ عَلَى الجمر، فيصيبه من الأذى وربما العذاب كما يصيب اليد من إحراق الجمر، فلا بد من الصبر في سبيل هذا الدين والعمل به والتمسك بالسنة فقد أودى نبينا صلى الله عليه وسلم، إذ ضُرب ورجم وخُنق وأُدمي وأُخرج من بلده، وهكذا صاحبته رضوان الله عليهم أودوا في سبيل الله ومن أجل دين الله بأكثر مما حصل لأهل هذا الزمان فصبروا ونصرهم الله، فبلغوا دين الله إلى مشارق الأرض ومغاربها، وهكذا سيصيب أتباعهم ما أصابهم كما أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم، فقد جاء في سنن أبي داود عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضِ عَلَى الجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ". وَزَادَنِي غَيْرُهُ: قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: " أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ".**

فمن مميزات أهل السنة والجماعة أنهم يعملون بالسنة بلا زيادة ولا نقصان؛ لأنهم يعلمون أن الله تعالى أكمل دينه، وأن نبينا صلى الله عليه وسلم بلغ ما أمره ربه بلا غا تامةً كاملاً، فلا خير إلا دل أمته عليه ولا شر إلا ما حذرهم منه، فمن زاد أو استزاد، أو أنقص أو استدرك أو استحسن شيئاً في دين الله لم يأت به رسول الله فهو مبتدع ضال، قال تعالى: **{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا }** [سورة المائدة: 3]

وروى ابن ماجه عن العرباض بن سارية رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال: **" قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارُهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ**

مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَأَنَّما الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنْفِ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ "

قوله: "تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ" هي السنة الغراء واضحة جليّة كاملة بهيّة، لا تحتاج إلى تكميل ولا إلى زيادة ولا نقصان فهي وافية تامة صالحة لكل زمان ومكان لا تتغير بتغير الناس، ولا تتغير بتغير الأحوال، ولا تتغير بتغير الأزمان ولا تتغير بتغير الأمكنة، فهي مناسبة لجميع العصور والأماكن والدهور، فإن النبي عليه الصلاة والسلام جعلها شريعة ومنهاجا تسير عليه الأمة إلى أن تقوم الساعة فلا يجوز تغييرها، ولا تبديلها بغيرها ولا الزيادة عليها كما يقول بعض العصريين: "لا بد من مواكبة العصر" ويقصد بذلك مخالفة السنة ومسايرة الناس، فهذا القول ضلال مبين، وانحراف مشين واستدراك على الدين، قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"

فمما امتاز به أهل السنة التمسك بالسنة والعمل بها والتمظهر بها، قولاً وعملاً واعتقاداً، قال إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: "إذا استطعت ألا تحك رأسك ألا بأثر فافعل" يعني المبالغة في التمسك بالسنة وكناية عن شدة التمسك بها.

وقال رحمه الله أيضاً: "عجبا من قوم يعرفون الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان" مع أن سفيان رحمه الله جبل من جبال السنة، لكن من استبانة له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس له أن يدعها لقول إنسان كائناً من كان بالإجماع، جاء هذا الأثر عن الإمام الشافعي رحمه الله.

فإذا جاءك الدليل و عرفت السنة عظ عليه بالنواجذ ولا تبال بمن خالفك.

وهكذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما: "أراكم ستهلكون أقول: قال رسول الله ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!"

فانظر يارعاك الله، ابن عباس يقول هذه المقولة مع جلاله أبي بكر وعمر بل هما أفضل هذه الأمة بعد نبيها، لكن السنة مقدمة على أقوالهما، فما بال أناس يتركون السنة ويتركون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول فلان أو إعلان من الناس وربما كان فلان هذا من رؤوس أهل البدع يقال له: قال رسول الله كذا، يقول: قد قال الشيخ الفلاني كذا وقال العلامة الفلاني كذا، ونظام الحزب على كذا والعصر يناسبه كذا، هذا ضلال مبين، وبعد



واضح عن الحق، أين هؤلاء من قول ابن عباس: "أراكم ستهلكون أقول قال رسول الله وتقولون قال أبو بكر وعمر" وأين مشايخ هؤلاء من أبي بكر وعمر؟ فلا مقارنة بينهم، أين الثرى من الثريا، وأين الأرض من السماء، نسأل الله العافية، فقد روى الترمذي عن **حُدَيْفَةَ** رضي الله عنه قال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **اِقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرُ** ". وقال عليه الصلاة والسلام كما في حديث العرباض المتقدم: "**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّينَ الرَّاشِدِينَ**" والخلفاء هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين.

فإن من لوازم السنة لهو الابتعاد عن البدع والأهواء والابتعاد عن أهل البدع والأهواء، كما أن من لوازم التوحيد الابتعاد عن الشرك، فكذا من لوازم السنة الابتعاد عن البدع كلها صغيرها وكبيرها قليلها وكثيرها، فمن ارتكب البدع ليس من أهل السنة وإن فعل السنن، فلا بد من النفي والإثبات، إثبات السنة ونفي البدع، كما أنه يشترط النفي والإثبات في كلمة التوحيد **(لا اله الا الله)** فكذا يشترط النفي والإثبات في (شهادة محمد رسول الله) فمقتضاها إثبات السنة ونفي البدعة، كما في حديث العرباض المتقدم **(عليكم بسنتي)** إثبات، وقوله **(وإياكم ومحدثات الأمور)** نفي.

وقوله: "**وإياكم ومحدثات الأمور**" أي: احذروا البدع المحدثه، وهي العبادات التي أحدثت في الدين وليس عليها دليل، فإنها ضلالات مؤداها إلى النار، وقوله: "**كل بدعة ضلالة**" لفظ عام فيه تحريم كل البدع بدون استثناء، مما يدل على أنه ليس هناك بدع حسنة، والبدعة: "هي كلما أحدث في الدين بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بنية التعبد لله وليس عليها دليل، وقوله: "**وكل ضلالة في النار**"

فيه أن أهل البدع يستحقون النار إن أمضى الله وعيده فيهم، ومما يؤيد ذلك حديث أنس عند ابن ماجه قوله صلى الله عليه وسلم: "**وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**".

إلا أن أهل البدع الصغرى تحت المشيئة كسائر أصحاب المعاصي، هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي أن أصحاب الكبائر وأصحاب البدع الصغرى تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، فأمرهم إلى الله سبحانه وتعالى حسب ما تقتضيه حكمته لكنهم يستحقون النار.

فإذا كان الأمر كذلك فيجب على كل مسلم أن يحذر البدع؛ لأنها ضلالات ومؤداها إلى النار، وكما هو معلوم عند القاضي والداني أن أبعد الناس عن البدع هم أهل السنة والجماعة عملاً بهذه الأحاديث، منها حديث العرياض المتقدم: "واياكم ومحدثات الأمور" وحديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ" وفي رواية عند مسلم: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ". والأحاديث في التحذير من البدع كثيرة، فمن أراد أن يكون من الناجين في الدنيا والآخرة فعليه بالسنة، قال الإمام الزهري رحمه الله: "التمسك بالسنة نجاة" وقال الإمام مالك رحمه الله: "السنة سفينة نوح من تمسك بها نجا ومن تخلف عنها غرق"

وأهل البدع هالكون، ولا يوفقون للحق، ولا للتوبة؛ لأنهم يرون أنفسهم محقين، وهم مبطلون، يرون أنفسهم على شيء وليسوا بشيء. ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: "إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته" رواه الطبراني عن أنس رضي الله عنه.

ولذلك ترى التائبين من أهل البدع قليل يُعدون بالأصابع، أما رؤوس المبتدعة وقاداتهم قل أن تجد من يتوب منهم، بل ربما تجر البدعة الصغرى إلى الكبرى والعياذ بالله؛ لأنهم متشككون في دينهم متحيرون، وقد قال ابن سيرين رحمه الله: "أسرع الناس ردة أهل الأهواء، بخلاف أصحاب المعاصي من قطاع الصلاة والسراق والسكران يتوب منهم الكثير؛ لأنهم يرون أنفسهم مخطئين ويأملون التوبة، بخلاف أهل البدع يرون بدعهم من الدين، مما يدل على خطر البدع وأنها أخطر على الإسلام والمسلمين من المعاصي، وأهل البدع أخطر على الإسلام والمسلمين من أهل المعاصي، وما أصاب المسلمين ما أصاب من الفتن والبلايا والأزمات إلا بسبب البدع وأهل البدع، ولذلك قال ابن عيينة رحمه الله: "البدعة أحب إلى إبليس من المعصية"، وصدق رحمه الله فإن المبتدع لو تأتبه بكتاب الله والأمهات الست وتأتي له بجميع أقوال السلف فلن يقتنع بشيء من ذلك، وكأن هناك حواجز وأغطية وأكنة على قلوب أهل البدع تمنعهم من قبول الحق، وصدق الله إذ يقول في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ

**تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا** [سورة الكهف : 57] والآية عامة في المعرضين عن القرآن، والمعرضين عن السنة نسأل الله العافية والسلامة. فمن وفقه الله للسنة من أول يوم قبل أن تتغير فطرته عند أهل البدع فليحمد الله، قال أيوب السختياني رحمه الله تعالى: "من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفق لعالم سنة من أول يوم"

وذلك أن الحدث والأعجمي على الفطرة، فإذا وفقه الله لعالم سنة أو معلم سنة سار على السنة وتربى عليها، وإذا ذهب عند المبتدعة وأخذ عنهم وجالسهم فإنه يتربى على البدع ويصير مبتدعا إلا أن يشاء الله تعالى.

ولذلك حذر السلف تحذيرا بالغا من مجالسة أهل البدع والأخذ عنهم والاستماع لهم؛ لأن الناس يتأثرون بهم بسبب ما يوردون عليهم من الشبهات.

إذن يجب على المسلم الابتعاد عن مجالسة أهل البدع وعن حضور مجالسهم ودروسهم، فقد قال بعض السلف: لأن يمتلئ بيتي قردة وخنازير أحب إلي من أن يمتلئ مبتدعة، أو قال: لأن أجالس قردة وخنازير أحب إلي من أن أجالس مبتدعة.

فليحذر المسلمون على أولاهم من مجالسة أهل البدع، فإن بعضهم يدفع بأبنائه عند المبتدعة بحجة أنهم يحفظونهم القرآن! فليعلم هذا المسكين أنهم ما يحفظونه القرآن إلا بعد أن يشحنوه بالبدع والشبهات، وغيروا فطرته، وماذا تستفيد من حافظ القرآن وقد صار مبتدعا وداعيا إلى الفتن ومحاربا للسنة؟! قال النبي صلى الله عليه وسلم في الخوارج وهم حفاظ للقرآن: "يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مَرْوَقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْتَانِ، لَنْ أَدْرَكَهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ" متفق عليه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فقد رأى طاووس رحمه الله مبتدعا يحدث ابنه فقال يا بني اجعل أصبعيك على أذنك واشدد قال اشدد، لئلا يسمع من المبتدع.

فننصح كل مسلم بالبعد عن أهل البدع وعن مجالسهم سلامة لدينهم، فإن الذي ينبغي على كل مسلم أن يجالس أهل السنة وأن يتعلم عندهم؛ لأنهم أمناء على دين الله في أرضه؛ ولأنهم هم أهل المعتقد الصحيح، أما أهل البدع فلا

أمان لهم ولا يجوز أخذ الدين عنهم، ولا ينبغي حضور خطب الجمعة عندهم، مع أن الصلاة جائزة خلف كل مبتدع ما لم تخرجه بدعته من الإسلام، فإن من معتقد أهل السنة والجماعة جواز الصلاة خلف المبتدع المسلم، إلا إذا كانت البدعة كبرى فلا تصح الصلاة خلفه، لكن الأفضل للمسلمين أن يصلوا في مساجد أهل السنة أسلم لدينهم، ولو يصلي المسلم مع عامي يخطب من كتاب خير له من أن يستمع لمبتدع، فإننا رأينا أناسا ممن يجالسون أهل البدع و يحضرون مجالسهم وخطبهم صاروا منهم يدافعون عنهم، بل صاروا يطعنون في أهل الحق والعياذ بالله، والسبب في ذلك مجالسة أهل البدع.

قال ابن سيرين رحمه الله تعالى كما في مقدمة مسلم في صحيحه: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذوا دينكم"

وقال رحمه الله: "لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ، فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ، وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدْعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ"

إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذوا دينكم، فانظر يا أيها المسلم عند من تتعلم دينك، فليرحل المسلم ليتعلم دينه عند أهل السنة ولو سفرا، ولا يذهب عند أهل البدع يلبسون عليه دينه، فأهل البدع عندهم شبهات وتلبيسات، ربما يقرقرون في أذن العبد شبهة فتدخل إلى قلبه فتتمكن منه ربما لا تخرج أبدا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى، فقلب العبد ليس بيده، ولذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الدجال وأمر بالبعد عنه لأنه صاحب شبهات يلقيها على الناس فيتبعه كثير منهم، فقد روى أبو داود عن **عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ** رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ سَمِعَ بِالذَّجَالِ فَلْيُنْأَ عَنْهُ ؛ فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ ".  
أَوْ: " لِمَا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ ."

نسأل الله أن يوفقنا للسنة، وأن يثبتنا عليها .

## {(الخصيصة الرابعة)}

### «الاهتمام بالعلم الشرعي»

إن مما تميز به أهل السنة والجماعة لهو الاهتمام بالعلم الشرعي والعمل به والدعوة إليه ولذلك شيدوا المراكز العلمية وقرروا فيها دروساً نافعة، واتخذوا المساجد مقراً للعلم والتعليم وسائر العبادات، فيأتيها الناس من كل مكان، ومن شتى بلدان العالم فيتعلمون دينهم ويرجعون إلى بلدانهم معلمين واعظين، وموجهين ومرشدين، هدفهم بذلك ابتغاء مرضات الله لا يريدون من الناس جزاءً ولا شكوراً، فأقبل الناس على دعوة أهل السنة والجماعة لخيرها وصفائها ونقاها وسلامة منهجها وصدق أهلها، وصحة عقيدتهم، بخلاف أهل البدع من المتحزبة وغيرهم فليس همهم العلم، ولا الدعوة، ولا العمل، بل همهم الدنيا وتجميع الريالات وطلب المناصب، والتنظيمات السرية والمسرحيات الغريبة، والسياحات هنا وهناك والسياسات المخالفة للشرع، على ما عندهم من بدع وخرافات، وربما شراكيات، وإن خرجوا للناس فإنما يخرجون على جهل، أو من أجل المصالح، هذا هو الغالب على أهل البدع إلا ما ندر والنادر لا حكم له، أما أهل السنة والجماعة فإنهم يرحلون لطلب العلم الشرعي ويغزبون سنوات ويصبرون على السفر والتعب والفقر والغربة من أجل تحصيل العلم، فإذا تفقهوا وتمكنوا خرجوا للناس، فيخرج أحدهم داعياً إلى الله فينفع الله به حيث نزل، فيكون نزوله في القرية كالغيث للأرض المجدبة، إذا نزل عليها الغيث اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ثم تأتي ثمارها كل حين بإذن ربها، فهكذا العلم الشرعي فإنه غيث القلوب، وزاد الأرواح، وشفاء الصدور، كما جاء في الصحيحين من حديث **أبي موسى**، **عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةً قَبِلَتْ الْمَاءَ، فَانْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبُ الْكَثِيرُ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ؛ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ**

بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ  
."

ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثال الأول والثاني للعلماء وطلاب العلم  
العاملين النافعين لغيرهم، وشبههم بالغيث؛ لأنهم يتعلمون كتاب الله وسنة  
رسوله ومنهج السلف ثم ينفع الله بهم البلاد والعباد، هكذا أهل السنة  
والجماعة، فإن همهم وراحتهم العلم الشرعي تعلمًا وتعليمًا، فيبذلون في سبيل  
تحصيله كل غالٍ ونفيس، لا يبالون بالدنيا بمقابل العلم.

قال إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "ليس شيء  
أفضل من طلب العلم لمن صلحت نيته، قالوا كيف لمن صلحت نيته يا إمام؟  
قال أن ينوي بذلك رفع الجهل عن نفسه وعن مجتمعه"

والعلم المحمود الذي يهتم به أهل السنة هو العلم الشرعي علم الكتاب  
والسنة، فهو العلم النافع الذي ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة، وليس همهم  
علوم الدنيا؛ لأن نفعها قاصر على الدنيا فقط بينما العلوم الشرعية نفعها  
حاصل في الدنيا والآخرة، قال الشافعي رحمه الله: "من أراد الدنيا والآخرة  
فليطلب العلم" أو كما قال رحمه الله.

فقد كان من دعاء النبي عليه الصلاة والسلام إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ يُسَلِّمُ يَقُولُ  
: " اَللّٰهُمَّ اِنِّىْ اَسْأَلُكَ **عِلْمًا نَافِعًا**، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُّتَقَبَّلًا ". رواه ابن ماجه عن  
أم سلمة رضي الله عنها.

والعلم النافع الذي ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة، وينتفع به المسلمون، هو  
علم الكتاب والسنة.

العلم قال الله قال رسوله "" قال الصحابة هم أولو العرفان

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة"" بين الرسول وبين رأي فلان.

وقال الشافعي رحمه الله:

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ \*\*\* إِلَّا الْحَدِيثَ وَالْأُفُقَّةَ فِي الدِّينِ

الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ: حَدَّثَنَا \*\*\* وَمَا سِوَى ذَلِكَ وَسِوَأُسُ الشَّيَاطِينِ

العلم النافع هو الهدى الذي أنزله الله إلى عباده، كما في تفسير قوله تعالى  
**{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ }** [سورة التوبة : 33]

قال المفسر السعدي رحمه الله **[الهدى]**: "هو العلم النافع **{وَدِينِ الْحَقِّ}** الذي هو العمل الصالح" اهـ. ونحن نرى ابن كثير رحمه الله .

فمن أين سيأتي الدين الحق إلا بالعلم النافع، انظر إلى الآباء والأجداد قديما الذين ما بلغهم العلم في كثير من المناطق، فقد كانوا يطوفون حول القبور ويتمسحون بها ويذبحون لها وينذرون لها ويدعون أصحابها من دون الله، وكانوا يذهبون إلى السحرة والمشعوذين، وكان الرجال يختلطون بالنساء، وكانت الحروب تنشب بينهم فيحصل القتل والقتال والفتن وغير ذلك من الجهالات بسبب الجهل، فلما جاء العلم وفتح الله على الناس بدعوة أهل السنة والجماعة استنار الناس بدعوتهم وبعلمهم، فجعل الله البركة في دعوتهم فتبصر الناس وعرفوا الحق وتركوا الشراكيات والمحدثات وتجنبوا الفتن بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بدعوة أهل السنة؛ لأن دعوتهم قامت على أساس سليم وعلى صراط مستقيم ، وهو الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، وهذه ميزة وخصيصة لأهل السنة سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى ، بخلاف أهل البدع والأهواء فإنهم يأخذون دينهم عن أناس غير معصومين ولا متبعين لنبيهم صلى الله عليه وسلم، فقلدوا مشايخهم بغير أدلة فضلوا وأضلوا، وتخطبوا في ظلمات الجهل والبدع، أما أهل السنة والجماعة إن أخذوا عن مشايخهم فإنهم يأخذون عنهم بالأدلة بدون تقليد، ثم يعملون بما تعلموا، لا يعملون بجهل، فإنهم يتعلمون ثم يعملون ثم يدعون الناس إلى ذلك، ثم يصبرون على الأذى من أجل ذلك، فأهل السنة أشد الناس صبرا على هذه الدعوة وعلى طلب العلم وهم أشد الناس ثباتا على ذلك، لا يتغيرون ،أو يغيرون منهجهم الذي يسيرون عليه، ولو حصل لهم شيء من الأذى والمحن والتعذيب والتهجير ونحو ذلك، بخلاف أهل البدع فإنهم يتذبذبون ولا يصبرون، بل يسايرون الناس على مذاهبهم وعلى مناهجهم وعلى أهوائهم تبعا للمصالح ، بخلاف أهل السنة والجماعة فإن أعظم مصلحة عندهم هي السنة والثبات عليها، والعلم والتعليم، فإن كل شيء يهون بمقابل ذلك.



فمن خصائصهم التي تميزوا بها عن غيرهم ، أنهم يطلبون العلم، ثم يعملون به ثم يعلمون الناس ،ويصبرون على الطلب والعمل والدعوة،خروجا من الخسارة التي أقسم الله عليها بقوله تعالى: { **وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (3)** } [سورة العصر : 1 إلى 3 ]

قال الإمام النجدي شيخ الإسلام في عصره مجدد الدين في دهره، وهو محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : "اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل والعمل بها: الأولى: العلم، وهو معرفة الله ومعرفة رسوله ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، الثانية: العمل به، الثالثة: الدعوة إليه، الرابعة: الصبر على الأذى من أجله، والدليل قوله تعالى.. ثم ذكر سورة العصر.

فهذه الأربع المسائل هي عنوان السعادة وسبب النجاة من الخسارة ؛ لأن العبد إذا تعلم ولم يعمل بعلمه ولم يدعُ إليه صار علمه وبالا عليه ، بخلاف أهل البدع لا يهتمهم العمل بالعلم ولا بالدعوة إليه ولا يصبرون إذا أؤذوا في سبيل الله، بل يتلونون وينحرف كثير منهم إذا جاء الابتلاء يسايرون الناس ولا يثبتون، قال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى: " من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى " مصداقه قوله تعالى: { **اهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)** } [سورة الفاتحة : 6 إلى 7 ]

فالذين أنعم الله عليهم هم الذين عملوا بعلمهم وهم الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين،والمغضوب عليهم هم الذين لم يعملوا بعلمهم وهم اليهود فغضب الله عليهم،والضالون هم النصارى ،وهم الذين عملوا بدون علم فضللهم الله سبحانه وتعالى.

الشاهد أن أهل السنة يتعلمون أولا، ثم يعملون بما تعلموا ثم يدعون الناس إلى ذلك، فمن مميزاتهم أنهم يهتمون بالعلم والدعوة الى الله عن علم وبصيرة، لا يتصدر أحدهم للفتوى والدعوة بدون علم، كحال كثير من أهل البدع والأهواء فإنهم يفتون الناس بغير علم، وبلا ورع ولا خجل من الناس، ولا خوف من الله تعالى، فيفتون الناس بما يوافق أهواءهم وبدعهم، فيزجون بهم في الفتن والبدع ولا يبالون بسوء العواقب فيتحملون تبعات ذلك.



أما أهل السنة فإن دعوتهم مبنية على علم، وفتاواهم مبنية على الأدلة من الكتاب والسنة ،فيفتون الناس بالعلم والدليل، وهم أهل الذكر؛ لأنهم يربطون الناس بالأدلة، كما قال ربنا عز وجل: **{ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (44) }**

[ سورة النحل : 43 إلى 44 ]

والذكر هو الكتاب والسنة، فلا يجوز التصدر للدعوة بغير علم كما يصنع جماعة التبليغ، ولا يجوز أيضا التصدر للدعوة اعتمادا على أقوال وأفكار مخالفة للأدلة كما يفعل الإخوان المسلمون، وقد سماهم العلامة الوادعي مفلسين لإفلاسهم من العلم، فإن من شروط الداعية الناجح التسلح بالعلم النافع كما قال تعالى: **{ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ }** [ سورة يوسف : 108 ]

أي: قل يا محمد هذه طريقتي في الدعوة إلى الله أنا وأتباعي، وهي الدعوة عن علم وبصيرة، فلا يجوز القول على الله بغير علم؛ لأن الذي يتصدر للدعوة بغير علم سيقول على الله وعلى رسوله بغير علم، وقد قرن الله القول عليه بغير علم بأعظم معصية وهي الشرك بالله، فقال تعالى: **{ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ }** [ سورة الأعراف : 33 ]

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إن من العلم أن تقول لما لا تعلم لا أعلم" من قال لا أعلم فقد أفتى، وقد جاء عن أبي بكر رضي الله عنه عندما سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **{ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا }** ، فَقَالَ: "أَيُّ سماء تظلني وأي أرضٍ تُقْلِنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ".

## {(الخصيصة الخامسة)}

### «الاهتمام بعلم الحديث»

من خصائص أهل السنة والجماعة الاهتمام بعلم الحديث، ومن ثمَّ الاهتمام بما صح عن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، بخلاف أهل البدع فإنهم لا يبالون بعلم الحديث بل يلمزون علم الحديث وعلماء الحديث، فمن طعن بعلم الحديث أو بعلماء الحديث فاتهمه على الإسلام؛ ذكر الذهبي في السير عن أبي بكر بن إسحاق رحمه الله أنه خاطب كَهْلًا مِنْ أَهْلِ فَقَالَ: حَدَّثُونَا عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حَرْبٍ فَقَالَ لَهُ: دَعْنَا مِنْ حَدَّثَنَا إِلَى مَتَى حَدَّثْنَا وَأَخْبَرْنَا؟ فَقَالَ: يَا هَذَا، لَسْتُ أَشْمُ مِنْ كَلَامِكَ رَائِحَةَ الْإِيمَانِ، وَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ هَذِهِ الدَّارَ، ثُمَّ هَجَرَهُ حَتَّى مَاتَ.

فمن طعن بحدثنا وأخبرنا فقد طعن في شيء من الدين؛ ولأن الإسناد من الدين، كما جاء عن عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى: "الاسناد من الدين ولو لا الاسناد لقال من شاء ما شاء" فأهل البدع يكرهون الأسانيد ولا يريدون حدثنا وأخبرنا، بل ويستهزئون بعلماء المصطلح، ويزهدون الناس بحدثنا وأخبرنا؛ لأن الأسناد يفضحهم و يفضح بدعهم، وذلك أن الأسانيد تبين الأحاديث الصحيحة من الضعيفة، فهم يفرحون بالأحاديث الضعيفة؛ لأنهم يستدلون بها؛ ولأنها تخدم بدعهم؛ ولأن كثيرا من البدع مبناها على أحاديث ضعيفة، فالله سبحانه وتعالى حفظ الدين بالاسناد وبرجال الاسناد، وبعلماء الحديث، فالإسناد من خصائص هذه الأمة، فقد ميزها الله سبحانه وتعالى على غيرها من الأمم بعلم الاسناد، والذين تميزوا بهذه الميزة من هذه الأمة هم أهل السنة، والعلم النافع هو العلم الذي يؤخذ بالأسانيد الصحيحة، قال الشافعي رحمه الله تعالى:

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ \*\*\* إِلَّا الْحَدِيثَ وَإِلَّا الْفَقْهَ فِي الدِّينِ

الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ: حَدَّثَنَا \*\*\* وَمَا سِوَى ذَلِكَ وَسِوَا سِوَا الشَّيَاطِينِ.

فمن خصائص أهل السنة والجماعة أنهم يتحرون ما ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام، فما صح سنده وعدلت رواته وتم ضبطه ولم يُشذَّ أو يُعلَّ عملوا به، وما فقد شرطاً من هذه الشروط تركوه، فلا يعملون بالأحاديث الضعيفة بل يحذرون من منها؛ لأنها لم تثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام ولم يقلها، ولذلك فإنهم يهتمون بدراسة علم الحديث ويفنون في سبيله أعمارهم دراسة وتدريساً وتحقيقاً وتأليفاً فنفع الله بهم الأمة بل حفظ الله بهم الدين، فهم أهل هذا الشأن وتميزوا بهذا الفن، وهذا يعتبر من النفاق عن السنة إذ يميزون صحيحها من سقيمها، كيف وقد وجد من يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدخل في الدين ما ليس منه، فإن التحديث بالحديث الضعيف كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، والموضوع من باب أولى، أما أهل البدع لا يبالون حدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصحيح أو الضعيف، بل يكذبون على رسول الله بالأحاديث الضعيفة والمكذوبة ويبررون لأنفسهم أنهم يكذبون له لا عليه، وكل هذا في سبيل التكثر ومسايرة الناس واستقطابهم إلى صفوفهم، ليس همهم سنة ولا بدعة، ولا صحيح ولا ضعيف، فالكل عندهم سواء، عملوا سنة أو بدعة، حدثوا بحديث صحيح أو ضعيف، فحالهم كحطاب الليل، وحالهم كما قال تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [سورة الرعد: 17]

فالزبد جعل مثلاً لأهل الباطل، والذي ينفع الناس جعل مثلاً لأهل الحق، فأهل السنة لا يحدثون الناس إلا بما صح عن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم؛ لأنهم لا يستجيزون الكذب عليه ولا على الناس، وقد جاء الوعيد في حق من يكذب عليه متعمداً، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا ؛ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " .

وروى الإمام مسلم عن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " مَنْ رَوَى عَنِّي حَدِيثًا وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ ؛ فَهُوَ أَحَدُ الْكَذَّابِينَ . "

فمن هذا المنطلق فإن أهل السنة لا يعملون بالأحاديث الضعيفة ولا يروونها للناس ولا يحدثون بها إلا على سبيل التحذير منها، فقد روى مسلم في مقدمته في صحيحه عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: إِنَّا كُنَّا نُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ لَمْ يَكُنْ يُكَذِّبُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ تَرَكَنَا الْحَدِيثَ عَنْهُ.

ومعنى قوله: "تَرَكَنَا الْحَدِيثَ عَنْهُ" أي: لا يحدثون إلا ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم بتحري رواية الثقات عنه، وهكذا ابن سيرين رحمه الله تعالى يقول: "لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رَجَالَكُمْ، فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ، وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدْعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ".

فمما امتاز به أهل السنة والجماعة على غيرهم من الفرق الاهتمام بعلم الحديث، علم المصطلح علما وعملا وتعلّما، وكذلك الاهتمام بما صح عن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم رواية ودراية وترك ما لم يثبت عنه.

### {(الخصيصة السادسة)}

#### ﴿فهم الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح﴾

إن مما تميز به أهل السنة والجماعة لهو فهم الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، فأهل السنة والجماعة هي الطائفة الوحيدة التي أخذت الكتاب والسنة على فهم السلف، بخلاف غيرهم من الطوائف فإنهم فهموا نصوص الكتاب والسنة على أفهامهم وعلى أفهام مشايخهم ومؤسسيهم، فحصل التفرق والتشردم والابتداع في الدين بسبب مخالفة السلف الصالح، ولو أن المسلمين فهموا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح لكان الناس على قلب رجل واحد، ولما اختلف منهم اثنان، ونحن مأمورون أن نفهم الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، فإنهم أعلم بمراد الله ومراد رسوله وهم أهل اللغة ونزل القرآن في أوساطهم، ونزل بلغتهم، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم، ولكن هذه سنة الله في خلقه، أن الناس لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك.

والسلف الصالح هم أهل القرون المفضلة، وهم النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته وتابعوهم، لحديث **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"**. الحديث متفق عليه، وإمام السلف هو نبينا صلى الله عليه وسلم فقد قال لفاطمة رضي الله عنها: **"فَإِنَّهُ نِعَمَ السَّلَفِ أَنَا لَكَ"** متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها، والسلف في اللغة هو المتقدم، و في الاصطلاح هم النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته وتابعوهم، أصحاب القرون المفضلة، هؤلاء هم السلف الصالح الذين ندعو الناس إلى الأخذ عنهم.

وكل خير في اتباع من سلف\*\*\* وكل شر في ابتداء من خلف.

ونحن إذ ندعو المسلمين إلى اتباع السلف الصالح، وأن يفهموا القرآن والسنة على فهمهم؛ لأن الله تعالى اصطفاهم لصحبة نبيه، واختارهم لتبليغ رسالته، وقد رضي الله عنهم ووعدهم بالجنة، قال تعالى: **{ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }** [سورة التوبة : 100]

وقال سبحانه: **{ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى }** [سورة النساء : 95]

فإن الصحابة قوم رضي الله عنهم ووعدهم بالجنة ورضوا عنه، وحفظوا القرآن والسنة وفهموهما وعقلوهما عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، وبلغوهما إلى من بعدهم، كيف لا نفهم القرآن والسنة على فهمهم؟ والله تبارك وتعالى أمرنا أن نأخذ عنهم وكذلك رسوله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نأخذ الكتاب والسنة عنهم، بل ماجاء القرآن والسنة إلا عن طريقهم، قال الله: **{ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }** [سورة البقرة : 137]

وقال سبحانه: **{ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا }** [سورة النساء : 115]

فيدخل في سبيل المؤمنين السلف الصالح دخولا أوليا، بل هم أول المؤمنين في هذه الأمة، وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى: **{ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ }**

**{أي: سبيل السلف الصالح، ففي هذه الآية وعيد شديد بجهنم والعياذ بالله في حق من يتبع غير طريق السلف الصالح وسبيلهم.**

والآيات في فضل السلف الصالح والحث على الاقتداء بهم كثيرة، ومن السنة حديث العرباض المتقدم قول النبي عليه الصلاة والسلام: **"عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي"** والخلفاء الأربعة هم رؤوس السلف الصالح، بل هم خير السلف الصالح وذروتهم وأفضلهم، بل هم خير هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم، وهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين، والأفضلية فيهم تكون حسب ترتيبهم بالخلافة، فأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي.

ومن الأدلة على وجوب اتباع الصحابة رضوان الله عليهم والسير على منهجهم ما رواه الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"..وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ، إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً"**. قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **"مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي"**. فمن هذا الحديث يتبين أن الطائفة الناجية المنصورة المحقة هي التي تسير على ما سار عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فهذا هو الميزان الذي يُفَرِّقُ به بين أهل الحق وأهل الباطل، وفي هذا دليل على وجوب الأخذ بمنهج السلف وفهم القرآن والسنة على فهم السلف، فهم أفهم هذه الأمة لدين الله، وهم أدرى بمراد رسول الله، وهم أعلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال ابن مسعود رضي الله عنه: **"اتبعوا ولا تبدعوا فقد كفيتم"**، وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله كلاماً معناه: **"قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أخرى، فلئن قلتم: حدث بعدهم، فما أحدثه لا من خالف هديهم ورغب عن سنتهم، ولقد وصفوا منه ما يشفي وتكلموا منه بما يكفي، فما فوقهم محسر، وما دونهم مقصر، لقد قصر عنهم قوم فجفوا، وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم"**

وقال الإمام أبو عمر الأوزاعي رحمه الله: **"عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول"**.

وقال ابن قدامة رحمه الله تعالى: "وقد أمرنا بالاعتفاء لآثارهم، والاهتداء بمنارهم وحذرنا المحدثات وأخبرنا أنها من الضلالات،.." اهـ انظر لمعة الاعتقاد .

قول ابن قدامة: "وقد أمرنا بالاعتفاء بآثارهم والسير على منارهم" المنار هي العلامة التي يسير عليها العبد، فعلمة السلفي صاحب الحق التي يتميز بها عن غيره هي اتباع السلف الصالح، والأئمة بعدهم، هذا هو الميزان الذي يعرف به السلفي، وهذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة، بل هو من أهمها، ومن خالف هذا الأصل فليس منهم، وليس من السنة في شيء.

### **{(الخصيصة السابعة)}**

#### **«الولاء والبراء الشرعي»**

من خصائص أهل السنة والجماعة أنهم يوالون في الله ويعادون من أجل الله، ولاؤهم لله ولرسوله وللمؤمنين، وبرائهم من المشركين والكافرين والزنادقة والمنافقين وأهل البدع، وكل بحسبه، فيتبرؤون من أصحاب البدع الكبرى كبراءتهم من الكافرين والمشركين، وبراءتهم من أصحاب البدع الصغرى دون ذلك، وهو البراء من بدعهم، إلا أنهم لا يتبرؤون منهم كما يتبرؤون من الكفار والمشركين، ولا يعاملونهم كمعاملة الكفار؛ لأنهم مسلمون، أما أهل البدع فإنهم يوالون ويعادون من أجل المصالح، ومن أجل الدنيا ومن أجل الحزبيات، ربما يوالون أعداء الله من أجل تحقيق مصالحهم الحزبية، وربما يعادون أولياء الله من أجل أغراض دنيوية أو حظوظ نفسية، فإذا كان الرجل معهم فهو المقدم وهو المبجل ولو كان من أفسد الخلق، وإن كان ضدهم فهو الفاسد، وهو المتشدد وهو المتخلف ويلمزونه بالألقاب السيئة والأوصاف القبيحة، ولو كان من أصلح الناس، هذا هو الولاء والبراء عند أهل البدع قاطبة بدون استثناء، وهو الولاء والبراء الضيق، بخلاف أهل السنة والجماعة فإنهم يوالون الرجل لدينه وصلاحه وتمسكه بالسنة ومنهج السلف، بقطع النظر عن حسبه أو نسبه أو ماله أو علمه أو لونه أو نسبته، فإنهم بحبونه ويناصرونه ويعينونه، ويبغضون الرجل لفساده وبدعته ومخالفته للسنة ولا يلتفتون إلى دنياه ولا يتزلفون إليه ولا يداهنونه كما يفعل المبتدعة.



فالولاء والبراء المشروع يكون لله ولرسوله وللمؤمنين الصالحين، ويكون البراء من المشركين والكافرين والمنافقين وأهل البدع، قال تعالى: **{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (56)}** [سورة المائدة : 55 إلى 56]

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله عز وجل"** والولاء هو المحبة والنصرة، والبراء هو البغض والمعاداة كما جاء في الرواية الأخرى عند الإمام أحمد عن البراء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إن أوثق عرى الإسلام: أن تحب في الله وتبغض في الله"**

فلا يجوز موالاة الكافرين ولا المبتدعة والفاستقين، كما يفعل بعض المنحرفين في موالاة أهل البدع، بل يجب بغضهم والتحذير منهم ومن كتبهم زجرا لهم، وإن كان بعضهم دون بعض، ويجب بغض الكافرين ولا يجوز موالاتهم ولا محبتهم ولا مناصرتهم، وإن كانوا أقرب قريب، فإن المسألة دين، فقد تبرأ إبراهيم عليه السلام من أبيه وهو أقرب الناس إليه قال تعالى: **{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ}** [سورة الزخرف : 26] وقال تعالى: **{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}** [سورة الممتحنة : 4]

وقال تعالى: **{وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}** [سورة التوبة : 114]

والولاية على قسمين: ولاية كبرى، وولاية صغرى، فمن والى الكفار كاليهود والنصارى ونحوهم محبة في دينهم وناصرهم على المسلمين فهو كافر، وعليه ينتزل قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى**

**أُولِيَاءُ مَبْغُضُهُمْ أُولِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** {سورة المائدة : 51 }

ومن والاهم طمعا فيما عندهم أو خوفا منهم مع بغضهم وبغض دينهم فهي ولاية صغرى، لكنها كبيرة من كبائر الذنوب، وصاحبها فاسق وليس بكافر، وعليه ينتزل قوله تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أُولِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۚ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ }** [سورة الممتحنة : 1]

وقد حصل خبط وخط في هذا المسألة، فصار الخوارج ومن نحا نحوهم يكفرون كثيرا من المسلمين بموالاتهم للكافرين بدون تفصيل، وهذا خطأ فاحش، فقد تقدم الإشارة إلى أن الولاية قسمان كبرى مكفرة كما في الآية الأولى، وولاية صغرى مفسدة كما في الآية الثانية لحيث وإن الله تعالى ناداهم باسم الإيمان فقال: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أُولِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ }**، لكن أهل الزيغ والضلال يتبعون المتشابه من النصوص فينظرون إلى جانب من النصوص ويتغافلون عن الجوانب الأخرى، ففي هذه المسألة كفروا المسلمين بمقتضى قوله تعالى: **{ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ }**، ولم ينظروا إلى الآية الأخرى ثم يجمعوا بين النصوص، بينما أهل السنة والجماعة ينظرون إلى النصوص من جميع الجوانب فيضمون بعضها إلى بعض، ويردون المتشابه إلى المحكم ثم يأخذون بالمحكم، وهذه من أبرز مميزاتهم، فإنهم يوالون في الله ومن أجل الله، فيوالون الصالحين لأجل صلاحهم، ويوالون أهل السنة لأجل تمسكهم بالسنة، ويعادون الكافرين لأجل كفرهم، ويعادون الزنادقة لأجل زندقته، ويعادون المشركين والمنافقين؛ لأنهم أعداء الدين ويعادون أهل البدع لأجل بدعهم ولأنهم أعداء السنة وكل بحسبه، بخلاف أهل البدع وأصحاب المعاصي فإنهم يوالون أعداء الدين تبعا للصلح ولو على حساب الدين، وربما أثنوا عليهم خيرا، بحجة أنهم أصحاب أديان سماوية، وأن عندهم أعمال خيرية بقطع النظر عن عقائدهم الفاسدة كما هو منهج أصحاب الموازنات، المنهج الواسع الأفيح، فإن قاعدة الموازنات هذه قاعدة مبتدعة يسير عليها كثير من أهل البدع، ومقتضى هذه القاعدة: (نحب الرجل على

قدر ما فيه من خير ونبغضه على قدر ما فيه من شر) فيسعون سعيا حثيثا في إدخال أهل البدع مع أهل السنة، وهذه القاعدة التمييزية يسير عليها أصحاب أبي الحسن الماربي ومن كان على شاكلتهم من أصحاب الجمعيات وغيرهم، وفي هذا تغرير على الناس بأهل البدع وغش لهم، وفيه تكثير لسواد أهل الباطل، ومن أقوى الردود على هذه القاعدة تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من الخوارج مع ما عندهم عبادات، بل أخبر أن عباداتهم أكثر من عبادات الصحابة من صلاة وصيام وقراءة للقرآن، لكن وصفهم بأنهم كلاب أهل النار وتوعدهم بالقتل، ولم يقل نحبهم على قدر ما عندهم من خير، فقد روى الإمام مسلم عن **عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: **أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُهُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُهُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُهُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ، وَهُوَ عَلَيْهِمْ لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ"**

وفي رواية في الصحيحين عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ مِنْ ضَيْضِي هَذَا قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، **يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ**، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْتَانِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَنْ أَدْرَكَهُمْ؛ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ".

وعند ابن ماجه عن **أَبِي أَمَامَةَ**، رضي الله عنه قال: "شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، وَخَيْرُ قَتِيلٍ مَنْ قُتِلُوا، **كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ** قَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ فَصَارُوا كُفَّارًا. قُلْتُ: يَا أَبَا أَمَامَةَ، هَذَا شَيْءٌ تَقُولُهُ. قَالَ: بَلْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهذه الأحاديث ونحوها قاصمة لظهور أصحاب الموازنات.

فلا يجوز التلبيس على الناس بما عندهم من خير فيغتر الناس بأهل البدع فيأخذون دينهم منهم، فإنهم يدسون السم في العسل، وإن كانت لهم أعمال صالحة فهي إلى الله تعالى، فهو الذي يجازيهم عليها فيقبلها أو يردّها، على أن الأعمال المبنية على بدع مردودة على أصحابها كما في حديث عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا **لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا** فَهُوَ رَدٌّ" رواه مسلم

فالواجب بغض أهل البدع والتحذير منهم ومن بدعهم، وعدم الاغترار بما عندهم من أعمال، فإنها إلى الله تعالى.

الشاهد أن أهل السنة لا يحابون ولا يداهنون في دين الله، ولا يوالون إلا أولياء الله، ولا يعادون إلا أعداء الله، فهذه من خصائصهم التي تميزوا بها عن غيرهم من الفرق وهي الولاء والبراء الشرعي، وهو الولاء لله ولرسول ولعباده الصالحين، والبراء من المشركين والكافرين والمنافقين والمبتدعة، فأهل السنة لا يوالون من أجل أشخاص ولا يعادون من أجل أشخاص كما يفعل أصحاب الحزب الجديد حزب الإبانة، فإنهم والوا من أجل أشخاص وعادوا أهل السنة من أجل هؤلاء الأشخاص، فحزبهم أهل السنة لمخالفتهم لهذا الأصل الأصيل، بالإضافة إلى ما عندهم من أصول فاسدة، خالفوا فيها أصول أهل السنة، وابتدعوا أصولاً أخرى خلفية، منها الولاء والبراء الضيق، أما أهل السنة فإنهم يوالون من وإلى الله ورسوله والسلف الصالح، ويعادون من خالف منهج السلف الصالح كائناً من كان فله الحمد والمنة.

### **{{(الخصيصة الثامنة)}}**

#### **«الصدع بالحق»**

أهل السنة والجماعة هم الذين يصدعون بالحق ولا يخافون في الله لومة لائم، ولا يداهنون الناس كما هو شأن أهل البدع الذين يداهنون الناس مراعاة للمصالح، أما أهل السنة ليس عندهم حزبيات حتى يداهنوا الناس، ولا يريدون من الناس مصالحا، من دخل معهم وعمل بالسنة نفع نفسه، ومن ترك السنة ضرر نفسه ولم يضرهم، الشاهد أنهم لا يداهنون أحداً، وإنما يقولون الحق ولو على أقرب قريب، ويقولون للمخطئ أنت أخطأت، ليس عندهم القاعدة التي يسير عليها أهل البدع كأمثال الإخوان المسلمين والحسنيين والجمعيين، وهي: (نتعاون فيما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه)، فمنهج أهل السنة في المخالف لأصول أهل السنة أو المبتطل أنهم ينصحونه، فإن رجع وإلا نبذوه وهجروه وحذروا منه، لا يتزلفون لأحد ولا يجاملون أحداً، فإن الحق عندهم أكبر من كل كبير، يحترمون العبد لصلاحه وتمسكه بالسنة، فإذا خالف السنة وعمل بالبدع أظهروا البراء منه ومن أعماله وبدعه، لأن الله تعالى يقول: **{ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِنْ يَسْتَعِثُّوا**

**يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا** [سورة الكهف : 29 ]

ويقول سبحانه: **{ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ }** [سورة الحجر : 94 ]

أي: اصدع بالتوحيد، واصدع بالسنة، واصدع بالحق، أي: أعلنه وأظهره ولا تبال بمن خالفك وأعرض عن المشركين، فلا تبال بالمشركين، ولا تبال بالمنافقين، ولا تبال بأهل البدع، هذه طريقة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ويتفرع عن ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه من الصدع بالحق، فأهل السنة لا يسكتون عن المنكر، فإنهم إذا رأوا منكرا غيروه أو حذروا منه، يرضى من رضي ويكره من كره ويغضب من غضب، فيحذرون من الشرك والمشركين وعباد القبور، ويحذرون من البدع وأهل البدع والتحزبات، ويحذرون من المعاصي وأهل المعاصي، ولذلك تجد أهل الشرك وأهل البدع وأهل الفسق والفجور غير راضين عن أهل السنة، بل يرمونهم عن قوس واحدة؛ لأنهم يفضحونهم ويبينون عوارهم نصحا للإسلام والمسلمين، وإقامة للحجة على الناس، وابتغاء الأجر من رب العالمين سبحانه وتعالى، لا يبالون بمدح المادحين ولا قدح القادحين، ولا يلتمسون رضا الناس على حساب الدين، وإنما همهم رضا رب العالمين، وعمدتهم في ذلك حديث **أبي سعيد** رضي الله عنه قال، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **" مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ "**

فأهل السنة هم الذين فهموا هذا الحديث على مراد النبي صلى الله عليه وسلم وعملوا به، بخلاف الخوارج الذين نزلوا هذا الحديث على أولياء الأمور المسلمين، فخرجوا عليهم بحجة النهي عن المنكر، أما أهل السنة فإنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بضوابط شرعية، ويصدعون بالحق عن بصيرة، ويستعملون الحكمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله تبارك وتعالى، وذلك أن الناس يختلفون في أحوالهم وفي أفهامهم وفي قدراتهم، فيضعون الدواء على الداء، وقد أخذ النبي عليه الصلاة والسلام البيعة على صحابته بأن يصدعوا بالحق ولا يخافوا في الله لومة لائم، ففي الصحيحين من حديث عبادة رضي الله عنه قال: **" بَايَعَنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةِ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَنْ لَا**

نُتَارِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمًا" وقال أبو ذر رضي الله عنه : "أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير، أوصاني أن لا أنظر إلى من هو فوقني وأن أنظر إلى من هو دوني وأوصاني بحب المساكين والفقراء منهم، وأوصاني أن أصل رجلي وإن أدبرت، وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مرا، وأوصاني أن أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة" قال الألباني صحيح رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه واللفظ له.

الشاهد قوله "وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مرا"؛ لأنه لا بد أن يحصل شيء من الأذى، وشيء من التعب عند قول الحق، ولذلك قال: "وإن كان مرا" فلا بد من الصبر عند الصدع بالحق ولذلك قال الله: **{ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَإِنَّمَا عَنْ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ }** [سورة لقمان : 17]

ولذلك تجد أهل السنة يتعرضون للأذى والسب والتلب والتشويه من قبل أعداء السنة، ومع ذلك يصبرون، وكل ذلك لأنهم يصدعون بالحق ويصرخون به صراخا، أما أهل البدع فإنهم يجبنون عن الصدع بالحق؛ لأن بضاعتهم كاسدة ، فيداهنون الناس خوفا على مصالحهم وخوفا من نفور الناس عنهم، فلذلك لا ترى خلافا كبيرا بين أهل البدع وبين الناس غالبا، لأنهم يسايرون الناس على أهوائهم ويسكتون عن منكراتهم، بخلاف أهل السنة فإنهم لا يبالون بكثرة الناس أو قلتهم؛ لأن هدفهم تبیین الحق للناس وإقامة الحجة عليهم ولو لم يبق معهم أحد؛ لأنهم ليسوا حول الانتخابات، ولا عندهم حزبيات ولا جمعيات ولا سياسات يدعون الناس إليها، وإنما همهم الحق والعمل به وإن رفضهم الناس.



## {(الخصيصة التاسعة)}

### «مخالفة الكفار»

أهل السنة والجماعة هي الطائفة الوحيدة التي تخالف الكفار في عاداتهم وتقاليدهم، بل هم أشد الناس مخالفةً وأبعدهم عن عاداتهم وتقاليدهم، بخلاف أهل البدع والمتحزبة فإنهم يتشبهون بالكفار في بعض العقائد والمعاملات بحجة مسايرة العصر ويخالفون الكتاب والسنة، وإن الناظر إلى أصول البدع يجد كثيرا منها مستمد من الكفار، فهذه البدع أصولها إما يهودية وإما نصرانية وإما مجوسية، فعلى سبيل المثال بدعة الرفض والتجهم أصولها يهودية وبدعة الديموقراطية والحزبية والانتخابات، أصولها نصرانية، وبدعة القدرية أصولها مجوسية، فأهل البدع تشبهوا بالكفار في كثير من العقائد والعبادات والمعاملات، وقد ثبت عند الطبراني وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الدِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ "الشاهد قوله: "وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ" فمن مظاهر أهل البدع التشبه بالكافرين وأخذ العقائد عنهم، أما أهل السنة والجماعة فإنهم يأخذون عقيدتهم من الكتاب والسنة كما تقدم في أول خصيصة، وهي الاهتمام بالعقيدة وفهم النصوص على فهم السلف الصالح.

الشاهد أن أهل السنة يخالفون الكفار في عقائدهم وفي عاداتهم وفي عاداتهم وفي تقاليدهم وفي سائر معاملاتهم، وإنما يأخذون دينهم بالدليل، فما ثبت بالدليل أخذوا به وتعبدوا لله به، وما خالف الدليل رموه به عرض الحائط، بخلاف أهل البدع فإنهم يأخذون شيئا من دينهم عن الكفار فالصوفية ومن نحا نحوهم أخذوا بدعة الاحتفال بالمولد النبوي من النصارى، والإخوان



المفلسون أخذوا بدعة المسرحيات والتمثيليات من الكفار، بل اتخذوها وسيلة للدعوة إلى الله، وأخذوا كثيرا من العادات والمعاملات في المآكل والمشرب والملابس من الكفار، ما يأتي من شيء جديد من الغرب إلا ساروا إلى العمل به، أما أهل السنة والجماعة فإنهم خالفوا الكفار في عاداتهم وعباداتهم ومعاملاتهم وعقائدهم، وخالفوهم أيضا في لباسهم وفي مظاهرهم، فيظهرون بالمظاهر الشرعية، ويرتدون الزينة الشرعية التي كان يتزين بها رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، كإطلاق اللحية ولبس العمامة والقميص أو الإزار، بخلاف أهل البدع فإنهم لا يبالون باللباس الشرعي بل يسارعون إلى اللباس الغربي، ربما تجد كثيرا من دعائهم يلبسون البناتيل والكرفتات ويسارعون إلى القصات الغربية ويقصرون لحاهم أو يحلقونها، ثم يقوم أحدهم يخطب الناس أو يحاضر على هذه الحال، نعوذ بالله من الخذلان ونسأل الله العافية والسلامة.

فلا يخفى على مسلم خطر التشبه بالكفار، وقد تقدم حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ"** فإن من تشبه بهم محبة لهم ولدينهم فهو كافر مثلهم، وعليه ينتزل قوله تعالى: **{ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }** [سورة المائدة : 51] ومن تشبه بهم لمصالح دنيوية أو لأغراض شخصية مع كراهية دينهم، فهو عاصي، وفعله كفر أصغر كما تقدم معنا في دروس سابقة، وعليه ينتزل قوله تعالى

**{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ }** [سورة الممتحنة : 1]

الشاهد قوله تعالى: **{ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ }**

## {{(الخصيصة العاشرة)}}

### «الصدق في الحديث»

إن مما تميز به أهل السنة والجماعة أن أبلاهم الله بصدق الحديث بلاء حسنا، فتجدهم صادقين مع الله تعالى ومع النبي صلى الله عليه وسلم ومع الناس، بينما أهل البدع لا يتحرون الصدق بل يتعمدون الكذب، وربما كذبوا على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فلا بد أن يكذبوا لترويج بدعهم، وقد قال علامة اليمن مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله تعالى أركان الحزبية ثلاثة: (الكذب والخداع والتلبيس) فأهل البدع يلبسون على الناس ويخادعونهم ويكذبون عليهم من أجل أن تتفق بدعهم عندهم، ولنا عبرة بمن انسلخ من السنة حيث انحرفوا فصاروا يكذبون انتصارا لأنفسهم وترويجا لبدعهم وتأصيلاتهم الخلفية التي أحدثوها، أمثال الإبانيين أصحاب الحزب الجديد، فشعار أهل البدع الكذب، قال بعض السلف: "ثلاثة لا يؤتمنون، الكذاب والمبتدع يرد على المبتدع والقصاص"

فالكذب خلق ذميم ومؤداه إلى الجحيم، فقد جاء في الصحيحين من حديث **عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا. وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا"

قال بعض السلف: "لو نادى مناد من السماء أن الكذب حلال ما كذبت" والكذب من صفات المنافقين، فقد كانوا يكذبون ويفجرون بالإيمان الكاذبة نسأل الله العافية. فالكذب من علامات النفاق كما في حديث **أبي هريرة** رضي

الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " **آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ** "

وهكذا أهل البدع فإنهم يكذبون على الناس، بل لا يبالون أن يكذبوا على الله ويكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وهذا مشاهد وملاحظ أنهم يلوون أعناق النصوص إلى ما يوافق أهواءهم، ويحرفون النصوص ويؤلونها إلى ما يوافق بدعهم، وهذا من الكذب على الله وعلى رسوله، بل قد صرح بعضهم حيث قالوا: نحن نكذب لرسول الله لا نكذب عليه! ومن ذلك أنهم يروون للناس أحاديث موضوعة مكذوبة، أو ضعيفة لم تثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام، وليس لها أصل، فهذا من الكذب على رسول الله، فقد روى البخاري ومسلم عن **أبي هريرة** رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا ؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ** " .

وروى مسلم عن **المغيرة بن شعبة** رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " **مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ** " .

فمن أظلم الظلم الكذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال الله تبارك وتعالى: **{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ } إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** [ سورة الأنعام : 21 ]

أي لا أظلم ممن كذب على الله وكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذن لا أمان لمبتدع في دين الله فإنهم غشاشون لخلق الله، وخونة لشرع الله، فإذا كانوا يكذبون على الله وعلى رسوله فمن باب أولى أنهم سيكذبون على الناس، فلا يقام دين بالكذب، ولا تقام دعوة إلا بالصدق، فإن الله تعالى يجعل البركة بالصدق، ويجعل البركة في الدعوة التي تقوم على الصدق، والدعوة التي تقوم على الكذب والتلبيس والخداع تمحق بركتها وتذهب أدراج الرياح، والواقع خير شاهد، حيث جعل الله البركة في دعوة أهل السنة ونفع الله بها الناس؛ لأنها تقوم على الصدق والصفاء والنقاء والتصفية والتربية، فلا تحتاج إلى الكذب ؛ لأنها دعوة واضحة صافية نقية ظاهرها كباطنها ليس فيها سريات وأسرار يخفونها على الناس، ولذلك نفع الله بها، بينما سائر الدعوات مُحقت بركتها؛ لأنها تقوم على الكذب والتلبيس والخداع، فأما الزبد فيذهب جفاء، قال الله: **{ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ**

**حِلْيَةٌ أَوْ مَتَاعٌ زَبَدٌ مِّثْلَهُ ۚ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ۝**  
[ سورة الرعد : 17 ]

فإن الصدق طريق الى الجنة والكذب طريق إلى النار كما تقدم في حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

### **{(الخصيصة الحادية عشرة)}**

#### **«عدم التقليد»**

إن من أهم خصائص أهل السنة والجماعة أنهم يتبعون ولا يقلدون، يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقلدون أحدا كائنا من كان، وإنما يأخذون بالدليل من الكتاب والسنة، ولا يرون جواز التقليد؛ لأن التقليد هو اتباع من ليس بحجة بغير حجة، فمن علامات أهل البدع أنهم يقلدون مشايخهم وكبراءهم بغير حجة، بل يربون طلابهم على تقليدهم، بخلاف أهل السنة فإنهم يربون طلابهم على الأخذ بالدليل والانصياع للحق، وعدم تقليد أحد من الناس، بل يحذرون طلابهم من تقليدهم، فمشايخ السنة وعلمائهم لا يدعون أتباعهم إلى تقليدهم، وإن أخذوا عنهم فإنما يأخذون بالدليل، وهذا ليس تقليداً لأن الله تعالى يقول: **{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43)}** **بِالْبَيِّنَاتِ وَالزَّبْرِ ۖ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (44)}** [ سورة النحل : 43 إلى 44 ]

قوله: **{بِالْبَيِّنَاتِ}** أي بالحجج والأدلة. وقوله: **{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ}**: الذكر هو الكتاب والسنة، قال تعالى: **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}** [ سورة الحجر : 9 ] وأهل الذكر هم الذين يربطون الناس بالأدلة، فمن سأل عالماً بالدليل فهو متبع للدليل وليس مقلداً؛ لأن الله تعالى يقول: **{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ}** بخلاف أهل البدع فإنهم يعلمون أتباعهم التقليد ويلزمونهم بتقليدهم سواء أصابوا أو أخطأوا، كحال أحبار اليهود ورهبانهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله يحلون لهم ما حرم الله ويحرمون عليهم ما أحل الله، وهذا هو صنيع أهل البدع، إذا قال أحد مشايخهم

هذا حرام وهذا حلال أخذوا به وإن خالف الدليل ،فإذا ما جاءهم الحق والدليل،وقيل لهم هذا خلاف ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا قد قال الشيخ فلان كذا، وقد قال حسن البناء كذا، وقد قال محمد إلياس كذا وقال فلان وعلان كذا ،فهذه مشاقة ومحادة لله ورسوله والعياذ بالله،يقول الله في كتابه الكريم: **{ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا }** [سورة النساء : 115 ]

هكذا يربي أهل البدع أتباعهم على التقليد الأعمى، ولا يربونهم على اتباع الدليل، أما أهل السنة فقد وفقهم الله لاتباع الدليل وربط الناس بالأدلة والعمل بالسنة فهذه من أبرز مميزاتهم، بل إن أخطأ أحد مشايخهم وخالف الدليل تركوا هذا القول وأخذوا بالدليل، عملا بقول الله تعالى: **{ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ }** [سورة الأعراف : 3 ]

والذي أنزل إلينا من ربنا هو القرآن والسنة،قال تعالى: **{ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا }** [سورة النساء : 113 ]

قال ابن كثير رحمه الله : "الكتاب هو القرآن والحكمة هي السنة".هـ

وقال الله: **{ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }** [سورة هود : 112 ]

وقال الله: **{ فَلِذَلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ }** [سورة الشورى : 15 ]

أي:استقم أنت وأتباعك كما أمرك الله، وكما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم؛لأن طاعته هي من طاعة الله تبارك وتعالى، قال سبحانه: **{ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا }** [سورة النساء : 80 ]

فأبعد الناس عن الهوى والتقليد هم أهل السنة والجماعة، وهم أهل الحق والاتباع.

فإن للتقليد أخطارا عظيمة قد يصل بصاحبه إلى الكفر، وقد أخبر الله في كتابه أن سبب كفر كثير من الناس لهو التقليد ، وقد كان من أسباب كفر كفار قريش هو تقليد الآباء والأجداد، فإن التقليد، وقد تزندق كثير من الناس تقليدا للآباء والأكابر والوجهاء والعياذ بالله، كما أخبر الله في كتابه الكريم فقال: **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ** [سورة لقمان : 21]

ثم يأتي الأتباع يوم القيامة يتبرأون من المتبوعين الذين قلدوهم، ولا يغني بعضهم عن بعض شيئا، بل يلعن بعضهم بعضا كما أخبر الله عنهم في كتابه الكريم: **{ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (166) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرَّرْنَا فَتَنَ رَبَّنَا مِنهُمْ كَمَا تَبَرَّعُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (167) }** [سورة البقرة : 166 إلى 167]

وقال الله: **{ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (64) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (65) يَوْمَ ثُقُفَ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (66) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (67) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا (68) }** [سورة الأحزاب : 64 إلى 68]

وفي القبر لا يوفق المقلد للإجابة على أسئلة منكر ونكير، كما في حديث البراء رضي الله عنه عند الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا سئل المقلد: "من ربك؟ من نبيك؟ ماديك؟ يقول هاه هاه لا أدري هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته" من باب التقليد؛ لأنه كان يقلد الناس ما كان يأخذ دينه بالدليل، وقد حذر السلف من التقليد، وهكذا أهل السنة والجماعة يحذرون من التقليد.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "ألا لا يقلدن أحد دينه إن آمن آمن وإن كفر كفر فإن الشر ليس له أسوة" اهـ.

وقال أيضا: "من كان مستنًا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن فتنته أولئك أصحاب محمد أفضل هذه الأمة" اهـ.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: "ويل للأتباع من عثرات العالم قالوا كيف ذاك يا ابن عباس؟ قال يقول العالم شيئا ثم ينظر من هو أعلم منه بدين الله فيرجع عن قوله" اهـ.

بمعنى أن العالم قد يجتهد ويخطئ فيرجع عن قوله فيتخبط المقلد له ويظل على ذلك الخطأ فيأثم على التقليد، ويؤجر العالم؛ لأن العالم إذا اجتهد وأخطأ فله أجر، لكن لا يجوز تقليده على الخطأ، فإن التابع يأثم على متابعتة للخطأ ولا يعذر، بينما المتبوع معذور ومأجور لأنه مجتهد وأهل للاجتهاد.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "الناس ثلاثة: عالم رباني ومتعلم في سبيل النجاة، وهمج رعا ع أتباع كل ناعق، لا يستضيئون بنور العلم ولا يستندون إلى ركن وثيق" وهكذا كان أئمة المذاهب الأربعة رحمهم الله تعالى يحذرون من التقليد ولا يأذنون بتقليدهم، فقد كانوا يقولون خذوا من حيث أخذنا، وليسوا راضين عن قلدتهم أو تعصب لهم ممن جاء بعدهم، وهكذا لا يجوز تقليد مذهب من المذاهب بل لا بد من أخذ الحق بدليله من أي مذهب كان، سواء كان المذهب الحنبلي أو المذهب الشافعي أو المذهب الحنفي أو المذهب المالكي، فمن وافق قوله الدليل أخذ عنه بدون تعصب لمذهب من هذه المذاهب، فمن مميزات أهل السنة والجماعة البعد عن التمسك بالمذهب والتعصب.

قال الإمام أحمد رحمه الله: "إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بأثر فافعل" اهـ. فيه الكناية عن شدة التمسك بالسنة والاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: "إذا صحَّ الحديثُ فهو مذهبي، وإذا صحَّ الحديثُ فأضربوا بقولي عرض الحائط" اهـ.

وقال رحمه الله: "من استبانته له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس له أن يدعها لقول إنسان كائن من كان" اهـ.

وقال مالك رحمه الله: "كلُّ يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر" اهـ. يعني النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فلا يجوز التقليد في دين الله، فإن الذي يقلد ليس بطالب علم فضلا عن أن يكون عالما، قال ابن عبد البر



رحمه الله تعالى : "نقل الاجماع على أن المقلد ليس بعالم، وإنما العلم معرفة الحق بدليله" اهـ . وكان الإمام الوادعي رحمه الله تعالى يقول: " لا يقلدني إلا ساقط، " وهكذا خليفته شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله تعالى كان ولا يزال يحذر من التقليد مطلقا، ويحذر طلابه من تقليده ،فهذا مما تميز به أهل الحق، ولذلك تجد خلافات بين أهل السنة في المسائل الفقهية، مما يدل على أنهم لا يقلد بعضهم بعضا، ربما يأخذ الشيخ بقول ويأخذ تلميذه بقول آخر، فهذا يرى أن الصواب في المسألة كذا حسب اجتهاده وفهمه للدليل وما يقربه إلى الله ، وهذا يرى خلاف ذلك مع وجود الأدب والاحترام والإجلال والحفاظ على الإخوة فيما بينهم.

ونصوص الكتاب والسنة من الآيات والأحاديث وكذلك أقوال السلف كثيرة جدا في ذم التقليد والتحذير منه وذكر أضراره وعواقبه الوخيمة ،والعلامة الشوكاني رحمه الله رسالة قيمة في هذا الباب بعنوان (القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد) فمن أراد المزيد فليرجع إليها.

### {(الخصيصة الثانية عشرة)}

#### «الوضوح والتميز»

إن من أهم خصائص أهل السنة والجماعة لهو الوضوح والتميز، وذلك أن دعوتهم واضحة جلية، بيضاء نقية، ظاهرها كباطنها، كما وصفها نبينا صلى الله عليه وسلم كما في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك" قال الألباني رحمه الله رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة بإسناد حسن.

وهكذا أهل السنة متميزون عن أهل البدع، لا يقبلون في صفوفهم الغثائية وأهل التميع كحال الفرق الأخرى، فإنه يجتمع في الفرقة الإخواني و الصوفي والتبليغي و السروري وغيرهم، بينما أهل السنة لا يقبلون في صفوفهم إلا من كان على السنة؛ لأن أهل البدع يفسدون في أوساط الدعوة السلفية، بل إنهم مفسدون في الأرض، ومجالستهم تمرض القلوب وتخرب العقول، فالسنة لا تقبل أهل البدع كالبحر لا يقبل الميتة.

فقد حذر السلف من مجالسة أهل البدع والأخذ عنهم، وكتب السنة تزرع بالأحاديث والآثار عن السلف في التحذير من أهل البدع ومن مجالسهم، وقد جمعنا شيئاً منها في كتاب (سبعون أثراً في فضل السنة والحذر من البدع وأهلها) ذكرنا فيه جملة من الأحاديث وآثار السلف في الحذر من أهل البدع والتحذير من مجالستهم.

والله تعالى يقول: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ ۚ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [سورة الرعد : 17]

ضرب الله في هذه الآية الكريمة مثلاً للفرق والتمييز بين أهل الحق وأهل الباطل، بالسيل والمطر والغثاء، فإن المطر حينما ينزل يتفرع عنه السيول، منها الكبيرة ومنها الصغيرة وكلٌ بحسبه، ثم تقذف هذه السيول بالزبد جانباً وهو الغثاء والأوساخ والزبائل والقمام التي يحملها السيل في أوله، فيبقى الماء في الأرض ينتفع الناس به يسقون ويزرعون ويذهب الزبد جفاء أي مكدراً مرمياً هنا وهناك تأخذه الرياح ويرمي به الناس إذ لا فائدة منه ولا تنتفع به الأرض فهذا جُعل مثلاً لأهل الباطل وهم أهل الشكوك والشبهات والبدع، بينما الماء الذي انتفعت به الأرض وانتفع به الناس جُعل مثلاً لأهل الحق وهم أهل السنة والجماعة الذين انتفع الناس بعلمهم وبدعوتهم، والمثل الثاني كما في الآية نفسها كمثال الذهب والفضة يوقد على النار فيصقى وينقى فيذهب الكدر والصدأ والغثاء، ويبقى الذهب الخالص والفضة الخالصة بعد التصفية بالنار، وهذا مثل لأهل الحق فإن الله يبتليهم بالفتن والبلاء والتمحيص فيزدادون ثباتاً وقوة وصفاء كهذا الذهب والفضة المصفى بالنار، والغثاء هو الصدأ والدخان الذي تذهب به النار جُعل مثلاً للباطل وأهله، فإن هذا الصدأ والدخان في الذهب بمثابة البدع في الدين يقيض الله لها أهل السنة يحرقونها كما تحرق النار صدأ الذهب والفضة.

الشاهد أن من خصائص أهل السنة الوضوح والتميز ليس عندهم تلون ولا خليط ولا بدع ولا غموض ولا خفاء ولا سرديات، دعوتهم واضحة جليلة صافية نقية باطنها كظاھرھا، الذي يقولونه في المجالس الخاصة هو الذي يقولونه في المجالس العامة؛ لأنها دعوة تصفية وتربية، ليس عندهم مجاملات ولا محاباة لأحد، دعوة قائمة على التصفية من البدع والحزبيات، وتصفية

من المنكرات ومن المخالفات، يصدعون بالحق؛ لأنهم أغنياء عما في أيدي الناس، لا يمدون أياديهم لأحد ولا يتسولون من أحد حفاظاً على سلامة دعوتهم من أصحاب الأطماع الدنيوية والفتن المضلة، من خالف الحق أو انحرف نصحوه وأخذوا بيده فإن أبى إلا الانحراف والفتنة نبذوه وهجروه وتركوه، فإن خالف أصلاً من أصول أهل السنة حزبوه وبدعوه، بخلاف أهل البدع لا ينصحون المخالف، ولا يهجرون المنحرف، بل تجدهم يتكثرون بأهل الباطل لا ينبذون أحداً ولو كان مشركاً أو تاركاً للصلاة أو نحو ذلك؛ لأن عندهم قاعدة باطلة يسيرون عليها وهي: (نتعاون فيما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه) أما أهل السنة والجماعة لا يهتمهم التكتلات والتجمعات والأكثرية، إذ ليست الكثرة حجة في دين الله تبارك وتعالى، يحذرون من الباطل وأهله ولا يباليون بمن خالفهم أو خرج من صفوفهم، فقد كان شيخنا العلامة الحجوري حفظه الله يحذر من أهل الباطل ولا يبالي بمن خالفه، وفي فتنة العدني كان أول من تفتن لفتنته فحذر منه ومن أتباعه وكان يقول لو لم أبق إلا وحدي؛ لأنه يثق أن العدني وشلته خالفوا المنهج السلفي، ثم بصر الله أهل السنة لفتنتهم فتركوهم، فثبت من ثبته الله، وانجرف وراء العدني كثير من الناس وهم المعروفون اليوم بأصحاب الحزب الجديد حزب الإبانين، فهدى الله أهل السنة إلى الحق بإذنه فبصرهم الله بحزبية القوم فتركوهم وهجروهم وحذروا منهم، فالآن ترى في صفوفهم الإخواني والحسني والجمعي وغيرهم ممن هو شر منهم، فصاروا يوالون أعداء الله ويحاربون أولياء الله الذين ثبتهم الله على الحق فإلى الله المشتكى.

وكما أسلفنا أن أهل السنة والجماعة لا يهتمهم الكثرة، وإنما يهتمهم الصفاء والنقاء، فقد بدأ النبي عليه الصلاة والسلام مع عبد وحر، وهما أبوبكر الصديق وبلال بن رباح رضي الله عنهما فانتشرت دعوته وبلغت مشارق الأرض ومغاربها وتوسعت الدولة الإسلامية حتى بلغت السند والهند وإلى أربابها وما وراء النهر، وهكذا دعوة أهل السنة والجماعة في توسع وانتشار عجيب بفضل الله تعالى؛ لأنها دعوة الله ودعوة رسوله، بخلاف دعوة أهل البدع فإنها إلى ضعف وإلى الخلف، مع أنهم يهتمون بالتجميع والتكثيف والإغراءات والهيلمانات، لكن الحق أبلج والباطل لجلج، كما في المثل المشهور، والله تعالى يقول: **{ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ }** [سورة الأنبياء : 18]

فعند الإخوان المفلسين قاعدة لكنها فاشلة وهي: ( نكثف ثم نثقف ) يعني يبدأون من القمة إلى القاعدة، بدون تأسيس سليم ولا تأصيل قويم، وإنما القصد من ذلك التوثب على كراسي الملك ثم دعوة الناس وتعليمهم دينهم، وهيئات هيهات، فقد كان النجاشي رحمه الله ملكا على قومه فلم يستطع أن يفرض عليهم الإسلام، وقد عرض على النبي صلى الله عليه وسلم الملك فأباه، فلو كانت هذه الدعوة ناجحة، وهي من القمة إلى القاعدة لقبل ذلك الملك الذي عرض عليه ثم يفرض دعوته على الناس، لكنه يعلم أنها غير ناجحة، وسلك طريقته التي أمره الله بها ونفع الله بها، وهي من القاعدة إلى القمة، إذ بدأ بتعليم أصحابه التوحيد والعقيدة الصحيحة حتى رسخ الإيمان في قلوبهم رسوخ الجبال الشامخة، وهكذا دعوة أهل السنة والجماعة فإنهم بدأوا في دعوتهم بما بدأ به نبيهم صلى الله عليه وسلم، وهو من الأساس إلى الرأس تأسيسا بنبيهم صلى الله عليه وسلم، فإنهم يربون طلابهم على التصفية والتربية والتميز، ويعلمونهم الأصول السلفية والأسس المنهجية والعقيدة الصحيحة، والعلوم النافعة، وبعد أن يتضلع الطالب منهم بالعلم النافع وهو علم الكتاب والسنة يخرج للناس يعلمهم أمور دينهم، ويعلمهم العقيدة الصحيحة والمنهج السليم الذي به ينجون في الدنيا والآخرة ويسلمون من الفتن والمزالق التي خاضها غيرهم، بخلاف أهل البدع فإنهم لا يهتمون بالتوحيد ولا بالعقيدة الصحيحة، ثم يرسلون دعائهم للناس ويتصدرون للدعوة والفتيا على جهل فيضلون ويضلون ويضرون أكثر مما ينفعون، وربما نفخوهم بالألقاب الضخمة، كالداعية الفلاني والشيخ الفلاني والدكتور الفلاني، وربما لا يحسن قراءة الفاتحة، وربما تجده حليقا مبطلا مكرفتا وعنده من البلاوي ما الله به عليم، وينفخونه بتلك الألقاب، فيغتر الناس بهم وينخدعون بهم، بخلاف أهل السنة فإنهم ينزلون دعائهم منازلهم التي يستحقونها، ولا يرفعونهم فوق منازلهم، وربما تجد عند أحدهم خيرا كثيرا وعلما غزيرا وأهلية عظيمة ومع هذا لا يحب المدح ولا يحب أن يقال عنه الشيخ الفلاني، ولا يحب أن يوصف بمثل تلك الأوصاف الضخمة، تواضعا وخوفا من الفتنة، وتراه في غبراء الطلاب، فهكذا أهل السنة لا يغلون في أصحابهم ومشايخهم، بل يحذرون من الغلو، ويحبون التواضع والسكينة، لا يحبون المدح والرفعة، ولا يريدون الجاه والمناصب، ولا يترفعون على أحد صغر أم كبر، ولا يتزلفون إلى أحد وينزلون الناس منازلهم، بخلاف أهل البدع عندهم غلو في أصحابهم ومشايخهم، ولو كانوا مفلسين.

## {(الخصيصة الثالثة عشرة)}

### «الوسطية»

أهل السنة وسط في كل الأمور، فهم وسط بين جميع الطوائف، وسط بين الغلاة والجفاء، ووسط بين أصحاب الإفراط والتفريط، كما أخبر الله في كتابه الكريم: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } الآية [سورة البقرة : 143]

قال السعدي رحمه الله تعالى: {أمة وسطا} أي: عدلا خيارا<sup>١</sup>هـ.

هكذا يجب على كل مسلم أن يكون متوسطا غير متشدد ولا مميح ولا متميع، لا يكون مفراطا ولا مفرطا، لا غالي ولا جافي، فأهل السنة وسط في جميع الأبواب، منها:

### أهل السنة وسط في باب المشايخ والعلماء

حيث ينزلونهم منازلهم فلا يغلون فيهم ولا يضيعون حقوقهم، ولا يعتقدون فيهم العصمة، بل يعتقدون أنهم يصيبون ويخطئون فإذا أخطأوا لا يتابعونهم على الخطأ بل يناصحونهم وينبهونهم على أخطائهم، فلا يشهرون بهم ولا يجفون فيهم، بل يعطونهم حقهم من المحبة والاحترام والالجال، لكن أهل البدع يأخذون بأقوال مشايخهم على عجزها وبجرها، سواء كانت في حق أو في باطل، وربما اعتقدوا فيهم العصمة كالحدادية والسرورية والمتحزبة وغير ذلك.

### أهل السنة وسط في باب العبادات بين أهل الغلو والجفاء:

لم يشددوا ولم يتشددوا، لم يبتدعوا ولم يتركوا عملا كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، أعمالهم موافقة للسنة، فما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أخذوا به بلا زيادة ولا نقصان، فلم يشددوا على أنفسهم كالخوارج ولم يفرطوا كالمرجئة، فقد روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : **جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا ، فَقَالُوا : وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَا أَنَا فَإِنِّي أَصَلِّيَ اللَّيْلَ أَبَدًا. وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ. وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : " أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْفُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي "**. أي من تركها إعراضا عنها غير معتقد لها على ما هي عليه فليس على طريقتي، أو ليس بمسلم إن كان ميله عنها كرها لها أو عن عدم اعتقاد بها، فأهل السنة يأخذون عباداتهم عن النبي صلى الله عليه وسلم بدون إفراط ولا تفريط، فما جاء فيه دليل أخذوا به، وما خالف الدليل تركوه، وما لم يأت فيه دليل توقفوا فيه، وتقدم أثر الإمام أحمد رحمه الله: "إذا استطعت ألا تحك رأسك إلا بأثر فافعل"، أي لا تعمل عملا إلا بدليل أو سلف.

### أهل السنة وسط في باب الإيمان بين المرجئة والخوارج:

فالمرجئة تميموا فقالوا لا يضر مع الإيمان ذنب، فإيمان العاصي عندهم كامل كإيمان جبريل عليه السلام؛ لأن الإيمان عندهم في القلب فقط، فلو عمل العبد ما عمل من المعاصي فإنها لا تضر في إيمانه، وعمدوا إلى نصوص الرجاء فاستدلوا بالمتشابهات منها كقوله تعالى: **{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }** [سورة الزمر : 53] وغفلوا عن الجانب الآخر من النصوص التي تقيد هذه الآية كقوله تعالى: **{ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى }** [سورة طه : 82] فإن هذه الآية قيدت المغفرة بالتوبة والإيمان والعمل الصالح، وليس كل مذنّب مغفورا له إلا بمشيئة الله تعالى.

وأما الخوارج تشددوا في هذا الباب، فقالوا: إن المعاصي تنقض الإيمان وتخرج صاحبها من الإسلام، فالعاصي عندهم كافر مطلقاً، ونظروا في جانب من النصوص، فنزلوا على ذلك نصوص الوعيد والمتشابه منها، واستدلوا بها على بدعتهم، كقوله تعالى: **{ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ }** [سورة النساء: 14]

فقالوا: إن دلالة الآية على مطلق المعاصي صغرت أم كبرت، فقالوا كل معصية كفر، والمذهب الحق أن الآية محمولة على المعصية المطلقة وهي معصية الكفر كما بينها الله تعالى بقوله: **{ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }** [سورة البقرة: 81] وأدلة أخرى.

وتوسط أهل السنة في الإيمان فقالوا: إن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، ولا يكفر المسلم بذنب يرتكبه إلا إذا استحلّه، أو كان هذا الذنب مكفراً، وجمعوا بين النصوص وردوا المتشابه إلى المحكم وأخذوا بالمحكم، فالإيمان عند أهل السنة قول باللسان وعمل بالجوارح والأركان واعتقاد بالجنان يزيد بالطاعات وينقص بالعصيان، وعلى ذلك أدلة من الكتاب والسنة وهي كثيرة، منها: ما روى البخاري ومسلم عن **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ** - أَوْ : بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةٌ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ " دل الحديث على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وقد تقدم تفصيل ذلك في باب عقيدة أهل السنة في الإيمان.

### أهل السنة وسط في باب أفعال العباد بين المعتزلة والجبرية.

المعتزلة قالوا إن الإنسان خالق أفعاله ويفعل ما يشاء، إذ لا علاقة لأفعاله بمشيئة الله تعالى، والجبرية قالوا: إن الإنسان مجبور على فعله ليس له مشيئة، فإذا فعل معصية فإن الله أجبره على فعله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وتوسط أهل السنة فقالوا: إن الإنسان مخير ومسير، وله مشيئة لكنها تابعة لمشيئة الله، فإن العبد يفعل الشيء باختياره، لكنه لا يقع إلا بمشيئة الله تعالى، فإن شاء أمضاه وإن لم يشأ لم يمضه، فللعبد مشيئة تكون



تابعة لمشيئة الله تعالى، بدليل قوله تعالى: **{ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (29) }** [سورة التكويد : 28 إلى 29]

فأهل السنة وسط بين المعتزلة الذين قالوا إن الإنسان خالق أفعاله ،وبين الجبرية الذين قالوا إن الإنسان مجبور على فعله، فللعبد مشيئة واختيار تكون تابعة لمشيئة الله تعالى، فإذا شاء الله وقوع ذلك الفعل وقع، وإذا لم يشأ لم يقع، فإذا كان هذا الفعل خيرا وقع بإرادة الله الشرعية، وإذا كان شرا وقع بإرادته الكونية، إذ لا يخرج شيء عن إرادة الله جل وعلا.

### أهل السنة وسط في باب كلام الله بين الواقعة والمعطلة:

المعطلة قالوا: إن القرآن مخلوق ليس صفة لله تعالى، والواقفة قالوا: نتوقف لا نقول مخلوق ولا نقول صفة من صفاته، وتوسط أهل السنة فقالوا: إن القرآن كلام الله صفة من صفاته، تكلم به بحرف وصوت، كما أخبر الله في كتابه أن القرآن كلامه وأكد ذلك بقوله: **{ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا }** [سورة النساء : 164]

**{وكلم الله موسى تكليما}**، لفظ الجلالة (الله) فاعل مرفوع؛ لأنه هو المتكلم، وموسى مفعول به منصوب؛ لأنه هو الذي وقع عليه الكلام، لكن المعطلة حرفوا الآية فجعلوا الفاعل والمتكلم هو موسى، وقرأوا لفظ الجلالة بالنصب (الله)، لكنهم لم يستطيعوا تحريف قوله تعالى: **{ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ } قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي } فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا } فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ }** [سورة الأعراف : 143] فقوله تعالى **{وكلمه ربّه}** المتكلم هو الله، لا يستطيع المعطلة تحريفها؛ لأن [ربّه] فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والمفعول به الضمير في قوله **{وكلمه}** وهو الهاء العائد على موسى عليه السلام،

ثم تخطب المعطلة فقالوا إن الله خلق القرآن في شجرة فتكلمت الشجرة، أو خلقه في جبريل، وجبريل هو الذي تكلم، فشابهوا المشركين الذين قالوا: **{ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ }** [سورة المدثر: 25]

ويرد عليهم بأنه من المحال أن تقول الشجرة أو يقول جبريل: **{ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا }**؛ لأن هذا الكلام لا يقوله إلا من تفرد بالوحدانية وهو الله سبحانه وتعالى، إذن القرآن كلام الله، وهو صفة من صفاته ليس مخلوقا كما ادعت المعطلة، فمن قال إن القرآن مخلوق فقد كفر؛ لأنه كذب القرآن نفسه، ونفى عن الله صفة من صفاته. ومن توقف في القرآن ولم يقل: إنه كلام الله فهو شر من الجهمية، قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كما في السنة للخلال: "الواقفة شر من الجهمية، استتروا بالوقف" اهـ.

قال ابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى: [القرآن كلام الله، ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين وحبله المتين وصراطه المستقيم وتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو سور محكمات وآيات بينات وحروف وكلمات من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر وأجزاء وأبعا، متلو بالألسنة محفوظ في الصدور، مسموع بالأذان مكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي **{ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ }** [فصلت: 42]

وقوله تعالى: **{ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا }** [الإسراء: 88]

وهو هذا الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا: **{ لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ }** [سبأ: 31]

وقال بعضهم: **{ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ }** [المدثر: 25]

فقال الله سبحانه: **{ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ }** [المدثر: 26]

وقال بعضهم: هو شعر، فقال الله تعالى: **{ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ }** [يس: 69]

فلما نفى الله عنه أنه شعر وأثبتته قرآنا لم يبق شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو كلمات وحروف وآيات، لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد: إنه شعر، وقال عز وجل: **{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ}** [البقرة: 23] ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يدري ما هو ولا يعقل، وقال تعالى: **{وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي}** [يونس: 15]. انتهى من كتاب لمعة الاعتقاد.

### أهل السنة وسط في باب الصفات بين المعطلة والممثلة.

المعطلة قالوا ليس لله صفات، فنفوا عن الله السمع والبصر والوجه واليد والكف ونحو ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة، والممثلة قالوا إن لله صفات تشبه صفات المخلوقين، وكلاهما في ضلال مبين، قال نعيم بن حماد الخزازي رحمه الله: (من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها) اهـ.

وتوسط أهل السنة فقالوا إن لله صفات تليق بجلاله، لا تماثل صفات المخلوقين نثبتها لله كما أثبتنا لنفسه وأثبتها له نبيه صلى الله عليه وسلم بدون تمثيل ولا تكييف ولا تحريف ولا تعطيل: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}** [سورة الشورى: 11]

فأثبتوا لله تعالى صفات تليق به، معلومة المعنى مجهولة الكيفية، إذ لا يعلم كيفيات صفاته إلا هو؛ لأنه تعالى لم يخبرنا بها، ولم يره أحد فيوصفه لنا، أما في الجنة فإن المؤمنين يرون ربهم بصفاته.

أما المعطلة فقد نفوا صفات البارئ جل وعلا وأولوها بما ينافي معانيها المرادة في الكتاب والسنة، وفسروها على خلاف فهم السلف، وعلى غير مقتضى اللغة العربية، فقالوا الوجه هو الثواب، واليد هي النعمة، والمحبة هي إرادة الثواب، والغضب هو إرادة العقاب وغير ذلك، أرادوا الهروب من التمثيل، فوقعوا في مستنقع التعطيل، مثلوا أولاً ثم عطلوا ثانياً، فيقال إن لله صفات تليق به أثبتنا لنفسه وأثبتها له نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا يلزم

من إثباتها تشبيهها ولا تمثيلها بصفات المخلوقين، فصفات المخلوق تليق به، كما أن صفات الخالق تليق به ولا مقارنة، فإذا كانت صفات المخلوقين تختلف من جنس إلى آخر فمن باب أولى اختلافها بين الخالق والمخلوق سبحانه، قال الله: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}** [سورة الشورى: 11] ففي هذه الآية أثبت الله لنفسه صفات ونفى مماثلتها لصفات المخلوقين، وفي هذه الآية رد على الممثلة والمعطلة، فقله تعالى: **{ليس كمثله شيء}** رد على الممثلة، وقله: **{وهو السميع البصير}** رد على المعطلة.

فلما أثبت أهل السنة صفات الله تعالى بمعانيها المعلومة رماهم المعطلة بالتجسيم، زعموا أنهم جسموا وشبهوا الخالق بالمخلوق، وهذا القول باطل فأهل السنة أثبتوا لله صفات تليق بجلاله ونفوا مشابهتها عن صفات المخلوقين، وردوا علم كیفيتها إلى الله تبارك وتعالى، إذ لم يخبرنا بكيفياتها وإنما أخبرنا بمعانيها بمقتضى اللغة العربية، فإن الله تبارك وتعالى خاطبنا بالقرآن الكريم وهو عربي مبين ونبينا عربي كريم، ونحن عرب نفهم القرآن ونعرف معانيه فلا نعدل عن معانيه الظاهرة المتبادرة إلى معاني باطنة إلا بدليل، ولا يمكن أن الله تبارك وتعالى يخاطبنا بكلام لا نفهم معانيه له باطن خلاف الظاهر كما زعموا، فإن هذا لا تقتضيه حكمته تبارك وتعالى، ولو كان الأمر كما يزعمون لأخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بهذه المعاني الباطنة، ولو كان لصفات الله معاني باطنة غير المتبادر منها لسأل الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه المعاني، لكن لما كانت مفهومة المعاني لديهم لم يسألوا رسول الله عنها، فيجب علينا أن نقف حيث وقفوا ولا نخوض فيما لم يخوضوا.

فإن الله تعالى أخبرنا بأن له وجهاً ويدا وسمعا وبصرا ونحو ذلك، وهذه الصفات معانيها معروفة عند العرب ليس لها معاني أخرى غير المتبادر إلى الذهن، فمعنى الوجه معلوم لدينا بينما الكيفية مجهولة بالنسبة لنا؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخبرنا بكيفيات صفات الله ولم ير ربه، قال النبي عليه الصلاة والسلام: **"جَابَهُ النُّورُ"**. وفي رواية أبي بكر: **"النَّارُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ"** رواه مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه.

وروى مسلم أيضا عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: "نُورٌ، أَنَّى أَرَاهُ؟" فنبينا صلى الله عليه وسلم

لم ير ربه، ولم يخبره ربه بكفيات صفاته، فيجب التوقف في كفيات صفات البارئ جل وعلا، أما يوم القيامة وفي الجنة فإن المؤمنين يرون ربهم سبحانه وتعالى بصفاته وكفياتها، قال تعالى: **{ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23) }** [سورة القيامة : 22 إلى 23]

وروى البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله، رضي الله عنه قال : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ : " أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلِ غُرُوبِهَا" ورؤية المولى جل وعلا ثابتة لله يوم القيامة في الكتاب والسنة والإجماع وأنكرها أهل التعطيل وأولوا النصوص في ذلك وعطلوا بعضها.

**أهل السنة وسط في باب الشفاعة بين الصوفية والمعتزلة والخوارج:**  
الصوفية غلوا في الشفاعات فأثبتوها كلها المنفية منها والمثبتة، إذ طلبوها من غير مالكتها، فالصوفية طلبوا الشفاعة من أصحاب القبور، من الأولياء والصالحين زعموا، فصرفوا لهم أنواعا من العبادات التي لا تنبغي إلا لله تعالى، وهذه هي الشفاعة المنفية التي نفاها الله بقوله: **{ فَمَا تَتْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ }** [سورة المدثر : 48]

بينما المعتزلة والخوارج نفوا جميع الشفاعات إلا الشفاعة العظمى، فقالوا لا يمكن لأحد أن يشفع لأحد يوم القيامة؛ لأن العاصي عندهم كافر ومخلد في النار.

وتوسط أهل السنة فأثبتوا الشفاعة كما أثبتها الله ورسوله بشروطها، منها: أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد، ولا تكون إلا بعد إذن الله تعالى، ولا تكون إلا بعد رضا الله تبارك وتعالى عن الشافع والمشفوع، وأنها لا تطلب إلا من الله سبحانه وتعالى، فلا تطلب من صاحب قبر كما طلبها الصوفية وعباد القبور، ولا تطلب من صنم ولا من شجر ولا من حجر كما طلبها المشركون، ودليل هذا الشروط قوله تعالى: **{ وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَن بَعَدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى }** [سورة النجم : 26]

وقال تعالى: **{ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۖ لَهُ مَلَكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }** [سورة الزمر : 44]

وقال تعالى: { لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا } [سورة مريم : 87]

وتفسير العهد في هذه الآية: ما رواه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ ."

### أهل السنة وسط في باب التكفير بين المتشددين والمميعين وبين الخوارج والمرجئة:

أهل السنة لم يكفروا أحدا بذنب إلا من كفره الله ورسوله.  
قال ابن القيم رحمه الله:

الكفر حق الله وحق رسوله \*\*\* بالنص يثبت لا بقول فلان.

فتكفير المسلم بذنب ليس بالأمر السهل، فقد روى البخاري ومسلم واللفظ له عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ : يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ ."

فأهل السنة لا يكفرون أحدا إلا من توفرت فيه شروط التكفير وانتفت فيه موانع التكفير، ويكون هذا من شأن أهل العلم ليس لكل أحد.

وإليك شروط وموانع التكفير، وهي كالتالي:

الأول: أن يكون العبد عالما بالحكم، فمن ارتكب مكفرا وهو يعلم أن هذا الفعل كفر فهو كافر إن توفرت بقية شروط التكفير الآتية، فإن كان جاهلا بالحكم لا يكفر؛ لأن الجهل مانع من موانع التكفير.

الثاني: أن يكون مكلفا، فمن ارتكت مكفرا في سن التكليف فهو كافر إن توفرت بقية الشروط، فإن كان غير مكلف أي ارتكب مكفرا وهو دون سن التكليف فلا يكفر، لوجود مانع من موانع التكفير وهو عدم التكليف.

الثالث: أن يكون مختاراً، فمن فعل الكفر وهو مختار فهو كافر إن توفرت بقية الشروط المتقدمة وهي العلم والتكليف، فإن ارتكب المكفر وهو مكره، فهذا مانع من موانع التكفير.

فمن ارتكب مكفراً لكن وجد مانع واحد من موانع التكفير فلا يجوز تكفيره، وإن تحققت الشروط الأخرى فلا يكفر حتى تتوفر جميع الشروط وتنتفي جميع الموانع، أي: من ارتكب مكفراً جاهلاً بالحكم أو غير مكلف، أو مكرهاً فلا يجوز تكفيره، إلا من ارتكب مكفراً عالماً بالحكم قد أقيمت عليه الحجة، وهو مختار مكلف ولم يوجد مانع من موانع التكفير فهو كافر.

مثال ذلك إنسان ذبح لغير الله لا يعلم أن هذا الفعل شرك، يقال له هذا شرك أكبر ولا يقال له أنت كافر؛ لأن هناك فرقاً بين الحكم على الفعل والحكم على الفاعل؛ ولأنه وجد مانع من موانع التكفير وهو الجهل، وافتقد شرطاً من شروط التكفير وهو العلم.

وفي مسائل الحكم بغير ما أنزل الله توسط أهل السنة والجماعة بين المكفرين للحكام وبين الغلاة فيهم، ففصلوا في هذه المسألة، وذكروا الضوابط في تكفير من حكم بغير ما أنزل الله،ذكروا متى يكون الحاكم كافراً كفراً أكبر، ومتى يكون كافراً كفراً أصغر، فالخوارج والتكفيريون كفروا بالحكام مطلقاً، والغلاة عدلواهم مطلقاً، والصواب التفصيل كما يلي:

من حكم بغير ما أنزل الله معتقداً أن هذا الحكم أفضل من حكم الله أو أنه أنسب لهذا العصر، أو اعتقد جواز الحكم بغير ما أنزل الله ونحو ذلك فهذا كفر أكبر مخرج من الملة وعليه ينتزل قوله تعالى: **{ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ }** [سورة المائدة : 44]

ومن حكم بغير ما أنزل الله معتقداً أن حكم الله أفضل وأنسب ولا يجوز الحكم بغيره، وإنما حكم بغيره لشهوة أو لدنيا أو خوفاً من جهة أو مداراة لجهة من الجهات وهو يعلم أنه لا يجوز الحكم بغير ما أنزل الله فهذا كفر أصغر وفسق، وهو الغالب على حكام المسلمين اليوم، وعليه ينتزل قوله تعالى: **{ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }** [سورة المائدة : 47]

إذن أهل السنة أبعد الناس عن تكفير المسلمين واستحلال دمائهم، وإنما عُرف هذا عن الخوارج وجماعة الهجرة والتكفير فقد كفروا المسلمين بمطلق المعاصي .



فالتكفيريون من الخوارج والمعتزلة وجماعة الهجرة والتكفير ونحوهم كفروا الناس بمجرد المعاصي، فالخوارج قالوا: إن صاحب المعصية كافر في الدنيا ومخلد في النار يوم القيامة، والمعتزلة قالوا في العاصي: هو في منزلة بين المنزلتين في الدنيا لا مسلم ولا كافر، ومخلد في النار يوم القيامة، وقالت المرجئة لا يضر مع الإيمان ذنب، فيلزم من هذا أن العبد لا يكفر بارتكاب الكفر بناء على عقيدتهم الباطلة، وهي: أن الإيمان لا يضر معه ذنب.

### **أهل السنة وسط في باب التبديع والتفسيق:**

أهل السنة لم يبدعوا أحداً إلا من ارتكب بدعة أو خالف أصلاً من أصول أهل السنة والجماعة التي كان عليها السلف الصالح، فمن خالف أصلاً من أصول السلف نصحوه فإن رجع وإلا بدعوه، بخلاف أهل البدع الغلاة المتشددين بدعوا أناساً ليسوا من أهل البدع، وكفروا أناساً ليسوا من أهل الكفر، ثم لمزوا أهل السنة بأنهم متميعون إذ لم يكفروا فلاناً! ولم يبدعوا فلاناً! والمتميعون من أهل البدع لمزوا أهل السنة بأنهم يكفرون الناس ويبدعونهم وأنهم يتكلمون على الناس ويطعنون فيهم، فأهل البدع في طرفي نقيض وأهل السنة وسط بين الفريقين وبين الطائفتين، فهم وسط بين أهل الإفراط والتفريط، وبين أهل الجفا والغلو، لم يكفروا إلا من ارتكب مكفراً وتوفرت فيه شروط التكفير وانتفت في الموانع، ولم يبدعوا أحداً إلا من خالف أصلاً من أصول أهل السنة والجماعة، وكذلك لم يفسقوا إلا من ارتكب مفسقاً، وهذا يكون بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع التي تقدم ذكرها، فمن ارتكب بدعة أو مفسقاً جاهلاً بالحكم أو مكرهاً أو غير مكلف فإنهم لا يبدعوه ولا يفسقوه لوجود مانع من موانع التبديع، فإن توفرت فيه الشروط وانتفت الموانع بأن ارتكب بدعة وقد أقيمت عليه الحجة وهو مختار مكلف بدعوه. فأهل السنة وسط في باب التكفير والتبديع وأيضا التفسيق.

### {(الخصيصة الرابعة عشرة)}

#### «طاعة أولياء الأمور في طاعة الله، والصبر عليهم»

إن من منهج أهل السنة والجماعة لهو الصبر على أولياء أمور المسلمين وطاعتهم في طاعة الله والصبر عليهم وإن جاروا وظلموا، وعدم منابذتهم والخروج عليهم والتشهير بهم على المنابر، وإنما يدعون لهم ويناصحونهم سرا، فإنه ليس من منهج أهل السنة والجماعة تثوير الناس على حكامهم والتشهير بهم على المنابر، فإن ذلك يؤدي إلى فتن لا تحمد عقباها، ولم يكن هذا من هدي السلف بل هذا هو فكر الخوارج ومنهجهم الفاسد، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الخروج على أولياء الأمور ولو كانوا ظلمة؛ لأن المصلحة تقتضي الصبر عليهم وإن جاروا وظلموا، إذ أن الله يصلح بهم البلاد ويؤمن بهم العباد، فيعبدون ربهم في أمان ويحجون البيت ويسافرون وهم آمنون على أنفسهم وأموالهم ومصالحهم، بخلاف لو لم يكن هناك ولي أمر فإن الناس يخافون على أنفسهم وأموالهم، وتكثر الفتن ويتسلط المجرمون وقطاع الطرق على الناس، وينهبون أموالهم ويعطلون مصالحهم ويفسدون عقيدتهم، قال بعض السلف: "إمام ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم" وقد امتن الله على قريش بنعمة الأمن فلم يشكروها، قال تعالى: **{لَا يَلَافُ قَرِيشٌ (1) إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)}** [سورة قريش : 1 إلى 4

[

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَفَتِ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ [سورة العنكبوت : 67]

فإن الأمن نعمة لا يعرف قدرها إلا من حُرِمَها، ومن أسباب حرمانها الخروج على أولياء الأمور، والناظر في التاريخ يرى أن سبب كل بلية وفتنة على المسلمين لهي الخروج على الحكام المسلمين، فما جنى الخوارج للمسلمين إلا الويلات والدمار والحروب بين المسلمين، ولا يزال المسلمون يعانون من فتنة الخوارج الذين خرجوا على عثمان رضي الله عنه إلى هذا الزمان، فطاعة أولياء الأمور والالتفاف حولهم والصبر عليهم يترتب عليه مصالح كثيرة، فإن الله تبارك وتعالى يؤمن بولي الأمر البلاد والعباد، وإذا خرج الناس عليه حصلت الفتن والمخاوف والقلقل، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بطاعة أولياء الأمور وعدم الخروج عليهم في أحاديث كثيرة، منها حديث عبادة رضي الله عنه قال: "بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَانِمَ".

وروى البخاري ومسلم عن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنهما، قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: "نَعَمْ". فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: "نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ". قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: "قَوْمٌ يَسْتَنْتُونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ". فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: "نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا". فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ: "نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسُّنَّتِ". قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: "تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ". فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةً، وَلَا إِمَامًا؟ قَالَ: "فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْصَ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ".

الشاهد قوله: "تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ".

قال الإمام النووي رحمه الله عند قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا): قَالَ الْعُلَمَاءُ: هَؤُلَاءِ مَنْ كَانَ مِنَ الْأَمْرَاءِ يَدْعُو إِلَى بِدْعَةٍ أَوْ ضَلَالٍ آخَرَ كَالْخَوَارِجِ وَالْقَرَامِطَةِ وَأَصْحَابِ الْمِحْنَةِ وَفِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ هَذَا

لِرُؤْمِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامِهِمْ وَوُجُوبُ طَاعَتِهِ وَإِنْ فَسَقَ وَعَمِلَ الْمَعَاصِيَ مِنْ أَخْذِ الْأَمْوَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَتَجِبُ طَاعَتُهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ "أ.هـ

وهناك شبهة يوردها الخوارج بأنه يجوز الخروج على ولي الأمر الظالم وإنما النهي جاء عن الخروج على ولي الأمر العادل، وإليك الأحاديث في الصبر على ولي الأمر الظالم أما العادل فلا نقاش فيه ،مع أن الخوارج لا يقر لهم قرار حتى يخرجوا على ولي الأمر العادل، فقد خرجوا على عثمان وعلي رضي الله عنهما ومن أعدل منهما في زمانهما؟!

فقد روى الإمام مسلم عن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنهما : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ، فَجَاءَ اللَّهُ بِخَيْرٍ فَتَحَنُّ فِيهِ، فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ : " نَعَمْ ". قُلْتُ : هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ : " نَعَمْ ". قُلْتُ : فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ : " نَعَمْ ". قُلْتُ : كَيْفَ؟ قَالَ : " يَكُونُ بَعْدِي أُمَمَةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهَدَايَ، وَلَا يَسْتَنْوْنَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ ". قَالَ : قُلْتُ : كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ : " تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ فَاسْمَعْ وَأَطِع "

وروى البخاري ومسلم عن **ابن مسعود** رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " سَتَكُونُ أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا ". قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ : " تَوَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ ".

ومعنى (أثرة): الاستئثار عليهم بأمور الدنيا كالأموال ونحوها والانفراد بها. وجاء في الصحيحين من حديث أسيد بن حضير رضي الله عنه أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ ".

وروى مسلم عن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " سَتَكُونُ أُمَرَاءٌ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِيءًا، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمًا، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ ". قَالُوا : أَفَلَا نَقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ : " لَا، مَا صَلَّوْا "

وروى البخاري ومسلم عن **ابن عباس** رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شَبِيرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ".

والأدلة في طاعة أولياء الأمور والصبر عليهم كثيرة نكتفي بمتقدم.

ونحن إذ نقول يجب طاعة أولياء الأمور لكن بقيد، وهو أن تكون طاعتهم في طاعة الله، إذ لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الله تعالى، فإن أمروا بمنكر فلا سمع لهم ولا طاعة إنما الطاعة بالمعروف، لكن لا يجوز نزع يد من

طاعة ولا التشهير بهم والخروج عليهم، وإنما نبغض المعصية التي يرتكبونها أو يأمرون بها، ويتم مناصحتهم سرا والأخذ بأيديهم، فقد روى مسلم عن **أُمِّ سَلَمَةَ**، رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَنْحُو ذَلِكَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: "فَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ بَرَّ، وَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ سَلِمَ".

وروى مسلم أيضا عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «خِيَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قَالُوا: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا تُنَادِيهِمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَأَهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَلْيَكْرِهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»

أما إذا فعلوا المعصية فلا يقرون عليها، وإذا أمروا بالمعصية فلا يجابون إليها، وبالمقابل لا يجوز الخروج عليهم، وإنما يناصحون سرا ويؤخذ بأيديهم، لما روى الترمذي عن **عَلِيٍّ**، رضي الله عنه عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " .

وروى مسلم عن تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » قُلْنَا لِمَنْ قَالَ « لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » .

ومن الأدلة على مناصحة أولياء الأمور سرا، حديث عياض بن غنم رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أراد أن ينصح لذي سلطان في أمر فلا يبديه علانية ولكن ليأخذ بيده فيخلوا به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه" أخرجه ابن أبي عاصم وصححه الألباني.

فلا تكون النصيحة لهم جهرا على المنابر، إذ أن النصيحة بين الناس فضيحة، وقد أحسن من قال: من نصحك سرا فقد نصحك، ومن نصحك جهرا فقد فضحك، فإذا كان الرجل العادي لا يقبل النصيحة أمام الناس، فمن باب أولى ولي الأمر فإنه لا يقبل النصيحة أمام شعبه؛ لأن ذلك ذريعته للخروج عليه، وما أحسن قول القائل:

تعمدني بنصحك على انفرادٍ \*\*\* وجنبني النصح في الجماعة  
فإن النصح بين الناس نوع \*\*\* من التوبيخ لا أَرْضَى استماعه

أما حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ أَبِي دَاوُدَ وَغَيْرِهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ . " فليس فيه التشهير بهم أمام الناس ولا الخروج عليهم ، وإنما فيه أن يقول كلمة الحق عند هذا السلطان وفي مكانه ، فهذا من أعظم الجهاد ، وليس معناه أن يذهب يشهر به في الشوارع أو على المنابر ، فأهل البدع فهمهم للنصوص سقيم ، ولم يفهموا اللغة فهما صحيحا ، بل يلوون أعناق النصوص إلى ما يوافق أهواءهم .

وأما حديث أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ " . فإنه عام مخصوص ، عام في حق كل مسلم ما عدا ولي الأمر ، فإنه مخصص بحديث عياض المتقدم في نصح ولي الأمر سرا وأحاديث أخرى تقدم ذكر بعضها ، لكن أهل البدع والخوارج يتبعون المتشابه من النصوص ، فعمموا حديث أَبِي سَعِيدٍ عَلَى أَوْلِيَاءِ الْأُمُورِ وَخَرَجُوا عَلَيْهِمْ بِحُجَّةِ تَغْيِيرِ الْمُنْكَرَاتِ الَّتِي عَنْدهُمْ ، وَتَرَكُوا عَشْرَاتِ الْأَحَادِيثِ فِي الصَّبْرِ عَلَى أَوْلِيَاءِ الْأُمُورِ وَمَنَاصِحَتِهِمْ سِرًا ، وَقَدْ جَاءَ الْوَعِيدُ فِي حَقِّ مَنْ خَرَجَ عَلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ الْمُسْلِمِ بِأَنَّ اللَّهَ سَيَهِينُهُ وَإِنْ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ فَمَوْتُهُ جَاهِلِيَّةٌ ، فَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ زِيَادِ بْنِ كُسَيْبٍ الْعَدَوِيِّ قَالَ : كُنْتُ مَعَ أَبِي بَكْرَةَ تَحْتَ مِنْبَرِ ابْنِ عَامِرٍ وَهُوَ يَخْطُبُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُ رِقَاقٍ ، فَقَالَ أَبُو بِلَالٍ : انْظُرُوا إِلَى أَمِيرِنَا يَلْبَسُ ثِيَابَ الْفُسَّاقِ . فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ : اسْكُتْ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَهَانَهُ اللَّهُ " .

فيا أيها الخوارج : لا تأمنوا مكرا الله ، فقد يهينكم الله في الدنيا أو في الآخرة أو في كليهما بسبب خروجكم على أولياء الأمور ، وها نحن نرى الإهانة للخوارج في الدنيا قبل الآخرة نسأل الله العافية والسلامة ، وروى مسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ لِقَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ ، وَمَنْ مَاتَ ، وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً " . والأدلة في ذلك كثيرة فيجب على كل مسلم الصبر على أولياء الأمور ، ونختم بهذه المعلومة أنه ما نصر الله الدين بخارجي ولا بمبتدع ، فالخوارج ما نصروا الدين على مر التاريخ ، ولا كسروا شوكة المشركين ، وإنما يقتلون أهل الإيمان ويتركون أهل الأوثان كما وصفهم النبي صلى الله عليه وآله وصحبه ، فلا للإسلام نصروا ولا للكفر كسروا ولا للبدعة تركوا ، وأيضا ما انتصر خارجي على مر



التاريخ، بل ما خرج خارجي إلا وهُزم، فمن حكمة الله تعالى أنه ما خرج خارجي على حاكم من حكام المسلمين إلا وانتكس وهزم وهلك، هذا معروف ومسطور في كتب التاريخ، فالذي يقرأ التاريخ يرى الخوارج إلى الخلف وإلى الدمار؛ لأنهم خالفوا السنة وعصوا الله ورسوله، وهذا مآل كل من خالف السنة، فيجب الصبر على ولي الأمر المسلم وإن بلغ من الظلم مبلغه، فقد شكى الناس ظلم الحجاج إلى أنس بن مالك رضي الله عنه فقال : اصْبِرُوا ؛ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقُوا رَبَّكُمْ، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. رواه البخاري.

لم يقل لهم أنس بن مالك اخرجوا على هذا الظالم، الذي سفك الدماء ورمل النساء ويتم الأبناء، وقد بلغ الحجاج من الظلم مبلغا عظيما ويُضرب به المثل في الظلم، ومع هذا قال لهم اصبروا؛ لأن المصلحة تقتضي ذلك وهي الصبر على أولياء الأمور، ليس في الخروج على الحكام مصلحة ألبتة، ولنا عبرة بما حصل من ثورة الربيع العربي من الفتن والبلاء والمفاسد على الإسلام والمسلمين، حيث

سُفكت الدماء وُعُطِلت المصالح وقتل الأبرياء وشُرِّدت الأسر، وهجّر المساكين، وأهلكت تلك الثورة الحرث والنسل، ولا يزال الناس يعانون من مفسدها وآثارها السيئة إلى الآن وإلى أن يشاء الله كما هو ملاحظ ومشاهد ولا حول ولا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فالنبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بالصبر على الحكام الظلمة حتى نلقاه على الحوض، لكن بعض الناس يريد أن يقتص الله له الآن في الدنيا وإلا حاول الانتقام منهم بنفسه! والله تبارك وتعالى ما جعل الدنيا دار جزاء وعقاب، وإنما جعلها دار عمل وصبر وابتلاء، وجعل الآخرة دار جزاء وثواب وعقاب، فمن عدل الله تعالى أنه يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء يوم القيامة كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا كان كذلك، أن الله تعالى يقتص للبهائم من بعضها البعض وهي غير مكلفة، فبنو آدم من باب أولى، رئيسهم ومروؤوسهم، قويهم وضعيفهم، فإنه يفصل بينهم بالحق، ويرضي المظلوم ممن ظلمه، والحمد لله.



## **{(الخصيصة الخامسة عشرة)}**

### **«أخذ الدين من جميع جوانبه»**

أهل السنة يأخذون الدين من جميع جوانبه، فيهتمون بالفرائض والواجبات، والسنن والمستحبات، ويجتنبون المحرمات والمكروهات، ليس عندهم قشور ولباب كما يزعم بعض أهل البدع، قال الله: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ }** [سورة البقرة : 208]

قال المفسر السعدي رحمه الله تعالى: " هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن يدخلوا **{ فِي السِّلْمِ كَافَّةً }** أي: في جميع شرائع الدين، ولا يتركوا منها شيئاً، وأن لا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه، تركه، بل الواجب أن يكون الهوى، تبعاً للدين، وأن يفعل كل ما يقدر عليه، من أفعال الخير، وما يعجز عنه، يلتزمه وينويه، فيدركه بنيته. ولما كان الدخول في السلم كافة، لا يمكن ولا يتصور إلا بمخالفة طرق الشيطان قال: **{ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ }** أي: في العمل بمعاصي الله **{ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ }** والعدو المبين، لا يأمر إلا بالسوء والفحشاء، وما به الضرر عليكم". ١.هـ

أما أهل البدعة فإنهم يتهاونون في السنن، وفي كثير من أمور الدين، حتى تركوا بعض الواجبات وارتكبوا بعض المحرمات، وقد قسموا الدين إلى أصول وفروع وقشور ولباب فأخذوا بالأصول واللباب، وتركوا الفروع والقشور زعموا، وأصل هذا التقسيم مبتدع وهو تقسيم الدين إلى أصول وفروع، واتخذوا ذلك ذريعة لترك السنن والمستحبات، بل تهاونوا ببعض الواجبات، وارتكبوا بعض المحرمات والمخالفات بحجة أنها قشور وفروع،

ومن المعلوم شرعا وعقلا أن اللباب يحتاج إلى القشور وإلا فسد، وأن الأصل يتقوى بالفرع ولا يستغني عنه، فإذا ما نزعت القشرة من الفاكهة فسد اللب منها، وإذا قطعت الفروع عن الأصول ضعفت وقل نفعها، إذن لا بد من أخذ الأصول بفروعها، ولا بد من أخذ اللباب بقشورها، ولا بد من أخذ الدين من جميع جوانبه، فليست اللحية والثوب القصير والعمامة من القشور التي يزعمها أهل البدع، وإنما هذه سنن وواجبات، حافظ عليها نبينا صلى الله عليه وسلم وأمر ببعضها ورغب في بعضها، ولما تمسك بها أهل السنة رموهم بالتشدد، ولما اجتنبوا ما حرم الله ورسوله من الاختلاط بالنساء وإسبال الثياب وسماع الأغاني ومشاهدة المسلسلات والتشبه بالكافرين رماهم أهل البدع بكل بلية واتهموهم بأنهم فرقوا بين الناس وشددوا على الناس، وهكذا يؤذى كل من تمسك بالسنة وأخذ الدين من جميع جوانبه، فإذا كان المتمسك بالسنة تأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وصفاته متشددا، فماذا سيقولون في رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فإن قالوا إنه متشدد فقد كفروا، وإن قالوا هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم لزم الدليل على الخصوصية، وإن قالوا هذه سنة لزمهم العمل بها، وإن قالوا لا بد من مواكبة العصر، يقال لهم هذا تقليد للكفار ومشاقة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فإن دينه صالح لكل زمان ومكان، فإن الذين يرمون أهل السنة بالتشدد لسان حالهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم متشدد والعياذ بالله؛ لأنهم يعملون بسنته، فأهل البدع قوم لا يعقلون ولا للدين يفقهون، ولا يدرون ماذا يخرج من رؤوسهم.

وفي الحقيقة إنهم لم يعلموا ما هو ضابط التشدد وما هو التمسك، فنقول لهم: إن التشدد هو أن يكلف العبد نفسه فوق طاقتها أو أن يترك الرخص وهو محتاج إليها فيشدد على نفسه، كأن يكون في حالة سفر أو مرض أو مطر أو نحو ذلك ولم يترخص بالرخص، أو يقوم الليل كله ولا يرقد، أو يصوم النهار كله ولا يفطر، أو يترك النساء تبتلا، ونحو ذلك من أصناف التشدد، فقد روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوا أَرْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا أَكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، فَقَالَ : " مَا بَالُ أَقْوَامٍ، قَالُوا كَذَا وَكَذَا، لَكِنِّي أَصَلِّي، وَأَنَامُ، وَأَصُومُ، وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي ؛ فَلَيْسَ مِنِّي ".

فمن زاد على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم فهو المتشدد، وأما ما صدر من هؤلاء الثلاثة النفر فهو اجتهاد منهم فلا يجوز الطعن فيهم؛ لأنهم لم يفعلوا ما عزموا عليه، ولم يأت ما يدل على أنهم أصرروا على فعلهم، بل الذي يظهر أنهم تركوا ذلك لما بين لهم النبي صلى الله عليه وسلم سنته، ففي الحديث بيان لثلاثة أنواع من التشدد، وهو قيام الليل كله، وصيام النهار كله، وترك الزواج تبتلاً، وفيه أن العمل بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ليس تشدداً، فإن قالوا نساير الناس ونواكب العصر، يقال لهم: خير الهدى هدى نبينا صلى الله عليه وسلم، والقرآن والسنة صالحان لكل زمان ومكان، قال الإمام مالك رحمه الله: "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها، فإن قالوا الدين يسر، يقال: هذا نتيجة فهمهم الخاطئ للنصوص، فإن معنى الدين يسر: أن يأتب العبد من الأعمال ما يطيق، كما قال رب العزة والجلال في محكم التنزيل: **{ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ }** الآية [سورة التغابن: 16] وقوله تعالى: **{ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ<sup>ط</sup> وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [الآي] سورة البقرة

[ 286 :

فمن صور التيسير الذي لم يفهمه كثير من الناس أن يصلي المريض قياماً أو قعوداً أو على جنب حسب القدرة، وأن يقصر المسافر ويجمع بين الصلاتين، وعند المطر يصلي المسلم في بيته، وعند انعدام الماء يشرع التيمم، ولمسافر أيضاً أن يفطر في نهار رمضان، هذا هو معنى التيسير في الدين، وليس معنى الدين يسر ترك الصلوات أو الجماعات، أو أداء الصلاة في غير وقتها، ليس معنى الدين يسر الاختلاط بالنساء الأجنبية ومصافحتهن والخلوة بهن، وليس معنى الدين يسر حلق اللحية ولبس البنطال والكرفطة والتشبه بأعداء الإسلام، هذا فهم سقيم لنصوص الكتاب والسنة، وهذا هوى متبع يصدر من أهل البدع ومن تابعهم من العامة.

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا ... وَآفَتْهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ.

وقال آخر:

أوردها سعد وسعد مشتمل \*\*\* ما هكذا يا سعد تورد الإبل.

فلا بد من فهم نصوص الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح لا على فهم أهل الأهواء الذين يلوون أعناق النصوص إلى ما يوافق أهواءهم، فإن السلف أعلم بمراد الله تعالى وأدرى بمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم في الخصائص الأولى من هذا الكتاب والله المستعان.

### **{{الخصيصة السادسة عشرة}}**

#### **«الصبر بأقسامه الثلاثة»**

إن مما يتميز به أهل السنة والجماعة لهو الصبر بأنواعه الثلاثة، فإنهم يصبرون على الطاعات وعلى طلب العلم وعلى الدعوة إلى الله، ويصبرون عن المعاصي بتركها، ويصبرون على أقدار الله المؤلمة وعلى الأذى في سبيل الله، وإن وُجد الصبر عند بعض أهل البدع لكن تبعا للمصالح وصبر على البدع والمخالفات غالبا، بخلاف أهل السنة والجماعة فإنهم يصبرون على الحق وعلى السنة وتحمل المشاق والمكاره من أجل دين الله الحق، فهم أهل للعبادات، وهم أهل للعلم الشرعي وهم أهل للدعوة إلى الله تعالى، فيصبرون على العلم وتحصيله وتحمل المشاق والسفرات والسهر والتعب والجوع والفقر والغربة، وعلى العزوبة سنوات، يصبرون على التفقه في الدين حتى يفتح الله عليهم ثم يخرجون لنفع الناس، لا يتعجلون بالخروج ولا يتصدرون للتفوى والدعوة حتى يتمكنوا، ولا يتفوقعون في المساجد بدون خروج كما يزعم أهل البدع إنما يصبرون في طلب العلم وتحصيله ثم يخرجون للناس. ويصبرون أيضا على الفقر وعلى شغل العيش وعلى ما يسر الله، ليس عندهم جمعيات ولا مراكز تجارية ولا يتسولون الناس إلا ما يسر الله من محبي الخير والسنة من غير تسول ولا استشراف، فإن دعوة أهل السنة والجماعة ليست مبنية على دنيا ورفاهية، فإن الدنيا فتنة فتنت كثيرا من الدعوات وضيعت كثيرا من الدعاة، وصرفت كثيرا من طلاب العلم، وإنما الغالب على أهل السنة الفقر كما كان عليه نبيهم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ومع هذا فإنهم في سعادة ليس عندهم ما يشغلهم عن طلب العلم، ثم يقومون بما أوجب الله عليهم من تعليم الناس دينهم والدعوة إلى الله عن علم وبصيرة، لا كما يفعله كثير من أهل البدع ينشغلون عن

العلم بالدنيا، ثم يخرجون للناس عن جهل فيقعون في البدع والشركيات والخرافات ، فمما تميز به أهل السنة على غيرهم لهو العلم النافع كما تقدم، فإنهم يتعلمون ثم يعملون ثم يبلغون ويصبرون على ذلك العلم والعمل والتعليم وعلى الأذى في سبيل ذلك، وهذه الأمور الأربع هي عنوان السعادة، ومن أسباب السلامة من الخسارة، كما قال تعالى: **{ وَالْعَصْرُ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3) }** [سورة العصر : 1 إلى 3]

وكان من وصايا لقمان الحكيم لابنه

كما أخبر الله عنه: **{ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ }** [سورة لقمان : 17]

الشاهد قوله تعالى: **{ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ }**؛ لأن الداعية إذا كان محققاً لابد أن يبتلى، فإن صاحب الحق لابد أن يتعرض للأذى كما تعرض نبينا عليه الصلاة والسلام وصحابته فصبروا، ومن الملاحظ في الواقع أن أهل السنة أشد بلاءً، وأشد إيذاءً من غيرهم، مما يدل على أنهم هم أصحاب الحق، وقد جرت سنة الله أن يبتلي أوليائه وعباده الصالحين، فإنه لا تقوم دعوة ولا يقوم دين إلا بالتمحيص والصبر واليقين، فلا بد من الصبر والمصابرة والاستعانة بالله على ذلك، كما قال الله سبحانه وتعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }** [سورة آل عمران : 200]

وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعْفِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ".

## {(الخصيصة السابعة عشرة)}

### «تعليم الناس أمور دينهم»

من خصائص أهل السنة والجماعة أنهم فرغوا أنفسهم لتعليم الناس أمور دينهم ابتغاء وجه الله لا يريدون من الناس جزاءً ولا شكورًا، بخلاف أهل البدع فإنهم لا يهتمون إلا بتعليم أتباعهم ومن كان حولهم حسب ما تقتضيه المصلحة، فيدورون مع المصالح حيث دارت، همهم البدع والحزبيات والتكتيل حولها، وتقعيد القواعد المخالفة للسنة، وتأصيل التأصيلات الخلفية التي يسيرون عليها، وتقنين القوانين التي تخدم الحزب أو الطائفة، لا يهمهم تعليم الناس دينهم، وإنما همهم مصلحة الحزب أو الطائفة ولو على حساب الدين، أما أهل السنة فإن هدفهم تعليم الناس وتبصيرهم في دينهم، لا يريدون مناصب، ولا وظائف، ولا رواتب ولا رسومات مالية ولا شهادات ولا شيء من ذلك، فمن حضر معهم وتعلم عندهم نفع نفسه ومن أعرض عنهم ما ضرهم، مراكزهم ومساجدهم مفتوحة لكل من أراد أن يطلب العلم ويتعلم دينه، وغايتهم في ذلك تبصير الناس في دينهم، وهدفهم إخراج علماء وحافظ للقرآن والسنة ينفع الله بهم الإسلام والمسلمين، لا يربطون الناس بالشهادات ولا الوظائف ولا الرواتب، ولا بالدنيا، وإنما يعلقون الناس بالله، ويتوكلون على الله، ويبقون على ما يسر الله، والله تعالى ييسر أمورهم وتمشي دعوتهم على بركة الله، لا يهمهم الكثرة، ولا يحتجون بها ولا يعتبرون بها، وإنما يهتمون بالتربية والتصفية كما تقدم في خصيصة سابقة، فإن الذي يهمهم هو الصفاء والنقاء والسنة والسلفية والثبات عليها، أما الغثائية والتميع واللفيف ليس ذلك في أوساطهم، فإن الأكثرية لا تدل على الحق، فإن الغالب على أهل الحق أنهم قلة، كما قال تعالى: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سورة سبأ :

13 [ وقال تعالى: { وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ لَيُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ  
إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ } [سورة الأنعام : 116 ]

والأدلة في ذلك كثيرة، وقد كان النبي يموت ولم يتبعه إلا العشرة والنبي يتبعه الاثنان والنبي ليس معه أحد كما ثبت ذلك في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فأهل السنة قد جندوا أنفسهم وفرغوا أوقاتهم لتعليم الناس لا يريدون من أحد جزاء ولا شكورا، يريدون الأجر من الله تعالى عملا بحديث **عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " **خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ** " .

فأهل السنة هم خير الناس؛ لأنهم يعلمون الناس الخير، ويعلمونهم القرآن والسنة لا رياء ولا سمعة ولا لأغراض شخصية ولا لمناصب دنيوية ولا غير ذلك، فمن كان هذا حاله فإن الملائكة تستغفر له، والحياتان تدعو له في البحر، وكذلك النمل في بيوتها، بل كل من في السماوات والأرض يصلون على معلم الناس الخير ابتغاء وجه الله، كما ثبت عند الترمذي من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **إِنَّ اللَّهَ، وَمَلَائِكَتَهُ، وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ، وَالْأَرْضِينَ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ ؛ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ** " أي يدعون لهم.

والأدلة في فضل طلب العلم وتعليمه والصبر عليه كثيرة جدا، وإنما الشاهد هنا أن أهل السنة يهتمون في هذا الجانب تعلما وتعليما، فهم أهل العلم، وهم أهل الخير، وهم أهل الحق، وهم أهل السنة، فإنهم وفقوا للعلم والسنة، وإن العلم والسنة قرناء لا يتحصل أحدهم إلا بالآخر، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر، أعني العلم الشرعي، فأهل السنة ما عرفوا السنة إلا بالعلم النافع وأخذوه من منبعه الصافي الزلال، وما تخبط أهل البدع في الضلالات إلا بسبب إعراضهم عن العلم النافع، ولم يوفقوا لعلم الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح فله الحمد والمنة على توفيقه وهدايته ونسأله المزيد من فضله، كما نسأله الثبات على ذلك حتى نلقاه.



## {(الخصيصة الثامنة عشرة)}

### «العفة»

من مميزات أهل السنة والجماعة أنهم أعف الناس، فإنهم يتعففون ولا يتسولون على أبواب المساجد، ولا على أبواب المتاجر كما يفعل كثير من أهل البدع، يتسولون ويمدون أيديهم إلى الناس بحجة أنهم ينفقون على طلاب العلم، ويعطون الفقراء والمساكين، ويكفلون الأيتام والأرامل، أو يرسلون أموالاً إلى غزة وفلسطين ونحو ذلك فيصرون الطلاب وسكن الطلاب ويصرون اللحوم والأطعمة ونحوها ثم يعرضونها على التجار ليتقاضوا بها أموال الناس فيأكلوها بالباطل، وعند المحاققة فإنهم يتمولونها، ويعطون شيئاً منها لمن كان منهم ومن أتباعهم الذين في صفوفهم، ويحاربون بها أهل الحق كما يفعل الإخوان المسلمون وأصحاب الجمعيات وغيرهم، فإنهم لا يعطونها الفقراء المعدمين ولا المساكين المحتاجين ولا طلاب العلم المتعففين إلا من كان في صفوفهم كما تقدم، أما أهل السنة فقد نزهوا أنفسهم عن هذا؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم حرم التسول إلا ما جاء عن غير مسألة، فقد روى البخاري ومسلم عن **عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ : قَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ، فَأَقُولُ : أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي حَتَّى أَعْطَانِي مَرَّةً مَالًا، فَقُلْتُ : أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " خُذْهُ، وَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ، وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ ، وَلَا سَائِلٍ، فَخُذْهُ، وَمَا لَا، فَلَا تُثْبِعْهُ نَفْسَكَ " .

مضمون الحديث أن ما جاء الإنسان من المال بدون استشراف ولا مسألة فهو رزق ساقه الله إليه فله أخذه وتموله، وما كان عن طريق السؤال والاستشراف والتطلع فهو حرام، بل هو كد أو كدوح يكدح بها وجهه، فقد روى الإمام مسلم عن **أَبِي هُرَيْرَةَ**، رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثُرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا، فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لْيَسْتَكْثِرْ "

وروى البخاري ومسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مَرْعَةٌ لَحْمٌ "

والأدلة في ذم المسألة كثيرة نكتفي بما تقدم، وسواء كان السائل طالب علم أو داعيا أو عاميا فالحكم عام إلا ما خصه الدليل، كما جاء عند الإمام مسلم عَنْ قَبِيصَةَ بِنِ مُخَارِقِ الْهَلَالِيِّ ، قَالَ : تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ : " أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا " . قَالَ : ثُمَّ قَالَ : " يَا قَبِيصَةُ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةً : رَجُلٌ تَحْمَلُ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاَحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قَوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ : سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةً مِنْ ذَوِي الْحِجَابِ مِنْ قَوْمِهِ، لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قَوَامًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ : سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ ؛ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا " فيجب على المسلم أن يتعفف والله سبحانه وتعالى يتولى أوليائه، كيف لا؟ وقد تكفل الله بأرزاق الخليقة، ومن يتعفف فمن باب أولى، "وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعْفِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَعْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ" فقد تولى الله أهل السنة وطلاب العلم فيسر أمورهم وسخر لهم أهل الخير من محبي السنة ينفقون عليهم بدون تسول وبدون جمعيات، وبدون تلصص على أموال الناس، واليد العليا خير من اليد السفلى، ومن ، كما روى البخاري عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : " الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غَنَى ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعْفِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَعْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ " .

وروى أبو داود عَنْ ثَوْبَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : وَكَانَ ثَوْبَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ تَكْفَّلَ لِي أَلَّا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا وَاتَّكَفَلَ لَهُ بِالْجَنَّةِ ؟ " . فَقَالَ ثَوْبَانُ : أَنَا. فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا.

الشاهد أن من خصائص أهل السنة والجماعة التعفف، لا يسألون الناس إلحافا، يحسبهم الناس أغنياء من التعفف، لما استعفوا أعفهم الله من فضله، حالهم كما ذكر الله في كتابه العزيز: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ

تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ { [سورة البقرة : 273 ] .

### {(الخصيصة التاسعة عشرة)}

#### «تعظيم شعائر الله»

من خصائص أهل السنة والجماعة أنهم يعظمون شعائر الله، وهي أعلام الدين الظاهرة التي أحبها الله وعظمها كالقرآن والمساجد والذكر الصلاة واللحية ونحو ذلك، هذه من شعائر الله ، بخلاف غيرهم فإنهم لا يعظمون كثيرا من الشعائر، بل يستهزئون ببعض شعائر الله، فتجد بعضهم يقيمون التمثيليات والمسرحيات ربما في بيوت الله مع ما تشتمل عليه هذه التمثيليات من مخالفات ومنكرات، وربما مثلوا بالصلاة والقرآن ويستهزئون بهما ليضحكوا الناس والعياذ بالله، هذا ملاحظ وموجود عند الإخوان المفسلين، وربما منعوا المصلين من الصلاة بحجة أن عندهم مسرحية في المسجد وربما كانت المسرحية للنساء فقد لاحظنا هذا، فيذهب الناس مسجدا آخر! وذات مرة مثلوا بالقرآن الكريم، فكان أحدهم يقرأ سورة التكاثر، حتى وصل إلى قوله تعالى: **{حتى زرتم المقابر}** فإذا به يكرر زرر زرر زرر ليضحك الناس، وآخر يقرأ قوله تعالى: **{جزاؤهم عند ربهم جنات عدن}** وإذا آخر بجانبه يقول: وصنعاء ما معها جنات؟! فيا سبحان الله! أين تعظيم شعائر الله؟ وأين تعظيم القرآن والصلاة؟ وأين تعظيم المساجد وصونها عن هذا المنكرات وعن هذه العادات التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، وإنما جاءت من أعداء الإسلام؟ قال الله: **{ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ }** [سورة الحج : 32 ]

وقال الله: **{ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ }** {الآية} [سورة الحج : 30 ]

فيخشى على هؤلاء الممثلين من الكفر بالله تعالى، وإن كانوا يزعمون أنهم إنما يلعبون ويلعبون ليضحكوا الناس، فقد كفر الله قوما كانوا يستهزئون

بشيء من الشعائر على سبيل اللهو واللعب، حيث قال سبحانه في كتابه العزيز : **{ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَإِيَّاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (66) }** [سورة التوبة : 65 : 66]

وآخر يتفوه بملء فيه بقوله: (لو نزل الله تعالى من السماء إلى الأرض ما حصل على الأصوات التي حصل عليها ذلك المرشح اليهودي)، وآخر يقول: (لو جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وانضم مع الحزب الفلاني فإنه لن يفوز) نعوذ بالله من هذا الكفر، هذا كفر صراح لا غبار عليه، **{ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ }** [سورة الزمر : 67]

فمما تميز به أهل السنة والجماعة أنهم يعظمون شعائر الله والحمد لله، ويعلمون قدرها وشأنها عند الله، وإذا رأوا شعائر الله تمتن وحرماته تنتهك غضبوا لله وصاحوا وأمروا ونهوا، بخلاف أهل البدع ما يبالون إذا انتهكت الحرمات وامتهنت الشعائر، وإنما يغضبون فقط إذا نيل فيهم وطعن في مناهجهم الفاسدة أو تكلم في طلابهم أو في مشايخهم فهنا يصرخون ويقيمون الدنيا ولم يقعدونها، وإذا حصل الطعن في دين الله أو في كتاب الله أو في رسول الله كثير منهم لا يحرك ساكناً، وغاية ما يقومون به هو المظاهرات والاعتصامات من باب مداواة المنكر بالمنكر والبدعة بالبدعة، ولا يزيدون الطين إلا بلة، وإلا فلا تجد عندهم دفاعاً عن أولياء الله، ولا نفاعاً عن دين الله، ولا عملاً بكتاب الله، إلا إذا وجدوا مصالح تترتب على ذلك، بل تجدهم يطعنون في أهل الحق وفي أئمة الإسلام، وقد طعن بعضهم في بعض الرسل وفي بعض الصحابة، وربما طعنوا في بعض الأحاديث والعياذ بالله.

ومن الامتهان لشعائر الله ما يفعله بعض أهل البدع من كتابة الآيات والأحاديث على الجدران والأرصفة فتتعرض للأوساخ والأتربة والرياح والأمطار وهذا يدل على عدم تعظيمهم لشعائر الله، بينما أهل السنة يغارون إذا رأوا مثل هذه الامتهانات لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ويحذرون من ذلك؛ لأن هذه الأمور لم يفعلها السلف؛ لأن هذا الفعل يعرضها للامتهان كما تقدم ويكفي أن كتاب الله وسنة رسوله محفوظان

بالصدور والسطور لا بكتابتها على الجدران والحيطان، وكما قيل: (الحيطان دفاتر المجانين)، الشاهد أن أهل السنة يعظمون شعائر الله، ويغضبون إذا انتهكت حرمة الله كما كان نبيهم صلى الله عليه وسلم، فما كان ينتقم لنفسه وإنما يغضب إذا انتهكت حرمة الله تعالى.

## {(الخصيصة العشرون)}

### «الرحمة بالخلق»

أهل السنة والجماعة هم أرحم الناس بالناس اقتداءً بنبيهم صلى الله عليه وسلم فقد كان رحمة مهداة، كما أخبر الله عنه: **{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }** [سورة الأنبياء : 107]

فالنبي عليه الصلاة والسلام كان أرحم الناس بالناس، بل كان رحيمًا حتى بالحيوانات، وأهل السنة هم أتباعه وعلماؤهم هم ورثته، وهو قدوتهم وأسوتهم، فمن رحمتهم بالناس أنهم علموهم دين الله، وحذروهم من الشرك والكفر والبدع والمعاصي، فإن هذا من أعظم الرحمة بالناس إذ أنقذوهم من البدع والضلالات فهذا من النصيحة في دين الله "الدين النصيحة" بل إن أهل السنة رحماء بأهل البدع؛ لأنهم ينصحونهم بالسنة ويحذرونهم من البدع، فإن أصروا عليها حذروا الناس من اتباعهم حتى لا تكثر أتباعهم فتزداد أوزارهم مع أوزارهم؛ لأنه كلما كثر أتباع أهل البدع زادت أوزارهم كما روى مسلم عن **أبي هريرة**، رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا. وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا ".

فأهل السنة أرحم الناس حتى بالحيوانات؛ لأنهم يتعاملون معها حسب توجيهات نبيهم صلى الله عليه وسلم، فقد روى الإمام مسلم عن **شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ**، رضي الله عنه قال: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحَدِّثْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِخْ ذُبِيحَتَهُ ". وعند الإمام أحمد عن **مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ**، عن أبيه، أن رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَأَذْبَحُ الشَّاةَ وَأَنَا

أَرْحَمُهَا. أَوْ قَالَ : إِنِّي لَأَرْحَمُ الشَّاةُ أَنْ أَدْبَحَهَا. فَقَالَ : " وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمَتْهَا رَحِمَكَ اللَّهُ، وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمَتْهَا رَحِمَكَ اللَّهُ ".

فأهل السنة يدعون الناس إلى التراحم والإخاء والألفة ، فإذا تراحم الناس فيما بينهم رحمهم الله تعالى ، كما عند أبي داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، رضي الله عنهما يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ " .

وإذا نزلت الرحمة من الناس رفع الله عنهم رحمته كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ " .

ومظاهر رحمة أهل السنة كثيرة أشرنا إلى ذلك إشارة.

### {(الخصيصة الواحدة والعشرون)}

#### «التواضع للحق والإذعان للدليل»

أهل السنة يتواضعون للحق لأن الحق عندهم مقدم على كل إنسان؛ ولأن الحق عندهم أكبر من كل كبير، ويذعنون للدليل ويقبلون الحق مهما كانت الظروف والأحوال؛ لأنه لا فلاح للناس في دينهم ودنياهم إلا باتباع الدليل، وإذا أخطأ أحدهم أو خالف الدليل رجع وتواضع للحق وألقى الكبر والخيال جانبا، بخلاف غيرهم إذا أخطأ أحدهم لا يمكن أن يتراجع وإن تراجع لا يظهر تراجع، إلا أن يشاء الله، ربما تأخذ أحدهم العزة والأنفة والكبر، بل ربما يزداد كل يوم بعدا وتناقضا وانحرافا، فقد يقول اليوم قولا وغدا يقول بخلافه؛ لأن أهل البدع لم يبنوا منهجهم على أساس سليم، ولا على أصل قويم، ولا على معتقد مستقيم، إنما بنوا منهجهم على الاستحسانات والكبر والعناد وحب الظهور؛ لأنهم لم يعتنقوا منهج السلف الصالح، ومن ثم لم يفهموا الأدلة على مراد الله ومراد رسول الله؛ وإنما يتعبدون الله بالبدع والأهواء، بخلاف أهل السنة فإنهم يدورون مع الحق حيث دار، قال بعض السلف : " لأن أكون ذنبا في الحق أحب إلي أن أكون رأسا في الباطل " . هـ ، وهكذا أهل السنة يكونون مع الحق، ولو كان أحدهم في المؤخرة وفي غبراء الناس، فترى بعضهم لا يظهره إلا علمه والخير الذي عنده، وإلا لا يكاد يُعرف من تواضعه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِغَنَانٍ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ



اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبِرَةً قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ" رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، هكذا أهل السنة والجماعة همهم الحق على أي حال كانوا، سواء كان أحدهم في المقدمة أو في المؤخرة، معروفًا أو مجهولًا، لا يهمهم المناصب والتصدر والظهور، بل يكرهون المناصب ويفرون منها؛ لأنها تشغلهم عما هم فيه من الخير والعلم والسنة، فإن المناصب تصرف الرجل عن العلم والتعليم وربما تصرفه عن السنة فقد صرفت كثيرًا من الناس عن السنة وعن العلم والتعليم، ولهذا كان السلف يفرون منها، بل عُرِضَتْ على بعضهم فأبوا؛ لأنها مشغلة ومسئولية في الدنيا وحسرة وندامة يوم القيامة، وكان العلامة الوادعي رحمه الله يقول: "فالعلم عندنا أرفع من الملك والرئاسة، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله". وكان يقول: "شأن الدكتوراة هذه يا إخواني في الله، والأستاذية إلى غير ذلك من الألقاب، \* لا تساوي عندنا بصلّة، \* إلا أن يصحبها سنة، ويصحبها دين وتقى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. إ.ه. المصدر: \* إجابة السائل (140). \*

الشاهد أن أهل السنة يبحثون عن الحق في كل القضايا والمسائل وينقادون للدليل، فإذا خالف قول العالم الدليل تركوا قوله وأخذوا بالدليل، وقد كان الإمام الشافعي رحمه الله يقول: "إذا صح الحديث فاضربوا بقولي عرض الحائط" وهكذا كانوا يربون أتباعهم على الحق والتجرد له.

## {(الخصيصة الثانية والعشرون)}

### ﴿البعد عن الفتن ومعرفتها قبل ظهورها﴾

أهل السنة والجماعة هم أعرف الناس بالفتن، وأبعد الناس عنها، يحذرون الناس منها ويعرفونها قبل مجيئها لما حباهم الله من العلم النافع والفراسة المقتبسة من الكتاب والسنة وأحوال السلف، فإنهم يرون الفتن بنور العلم قبل حصولها ويتوقعونها بمقدمات وأسباب تمهد لها، بينما غيرهم ما يعرفونها إلا وقد لطمتهم، أهل السنة يعرفون الفتنة وهي مقبلة بينما غيرهم ما يعرفونها إلا وهي مدبرة، كان العلامة مقبل الوادعي رحمه الله تعالى يحذر من الحزبية وكان يحذر من الانتخابات والديمقراطية ويخبر الناس أنها فتن، وكان يحذر من الجمعيات والمظاهرات ونحوها من الفتن، فيقول الحزبيون وبعض العامة هؤلاء متشددون ومتزمتون ومتحجرون، هؤلاء ما يعرفون



الواقع ،فما هي إلا أيام فإذا بالواقع يثبت ما قاله ذلك الإمام ويبرهن صحة ما قال،فإذا بهذه الأمور ومنها الحزبية بما فيها الانتخاب والمظاهرات التي حذر منها هذا الإمام تدمر البلاد والعباد، والواقع خير شاهد،ولا يخفى على كل مسلم ماذا حصل للمسلمين في ثورة الربيع العربي التي أشعلها الخوارج سنة ١٤٣٣هـ تقريباً، فقد أهلك الحرت والنسل، ولا يزال يعاني منها المسلمون إلى اليوم ،وحصلت الفتنة العويصة للشعب اليمني التي حذر منها أهل السنة في ذلك الوقت، لا يستطيع أحد أن ينكر هذا إلا أن يغطي بكفه عن عين الشمس،فخرج أهل السنة من هذه الفتن بوجوه بيضاء،وبأيادي نظيفة، وقد أدوا ما أوجب الله عليهم من التحذير من هذه الفتن وأخبروا الناس بسوء عواقبها، فرماهم الحزبيون بكل بلية،فقالوا إنهم عملاء وعلماء سلطة ونحو ذلك، وتلطخت أيادي أهل البدع بهذه الفتنة، حيث سفكت بسببهم الدماء، وهُدمت المساجد والبيوت، وهُجر أهلها، وحصل ما أخبر به أهل السنة حذو القذة بالقذة، وأفاق بعض الناس وندموا،ولا يزال كثير من أهل البدع مصريين على الفتنة والموعد الله تبارك وتعالى يوم القيامة.

وهكذا حذر أهل السنة من علماء السوء وأئمة الضلال وأرباب الفتن وجماعة التكفير وأصحاب التفجير،فقال أهل البدع هؤلاء يتكلمون في الناس، وهؤلاء يطعنون في العلماء،فما هي إلا أيام إلا وشرحتهم أعمالهم وفتاواهم،فظهروا رؤوساً للضلال ودعاة للفتنة، وصار العامة يحذرون منهم ورجعوا إلى كلام أهل السنة الذين أخبروهم بالفتنة قبل مجيئها، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن علماء بني إسرائيل الذين عرفوا فتنة قارون وأنها سبب لهلاكه، قال تعالى: **{ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (81) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَاهُ وَيُكَانَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (82) }** [سورة القصص : 79 إلى 82 ]

الشاهد أن العامة الذين اغتروا بما أوتي قارون رجعوا إلى كلام أهل العلم، فهكذا علماء السنة مصابيح الدجى أمانة للناس على دينهم ،فينبغي الرجوع إليهم عند المعضلات وعند الفتن كما قال تعالى: **{ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ**

أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ<sup>٥٥</sup> وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ<sup>٥٦</sup> وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا { سورة النساء : 83 }

فلو أن الناس أخذوا بكلام علماء السنة ورجعوا إلى فتاواهم عند المعضلات ما حصل الذي حصل من الفتن والأزمات والقتل والقتال وغير ذلك مما هو مشاهد ومسموع، لكنهم أخذوا بكلام علماء الضلال من أهل البدع فاحترقوا بالفتن، وكم حذر الله من دعاة الفتن وعلماء الضلال، بل قد شبههم بالكلاب والحمير، قال تعالى: **{ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ<sup>٥٧</sup> فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ<sup>٥٨</sup> ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا<sup>٥٩</sup> فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) }** [ سورة الأعراف : 175 إلى 176 ]

فانظر إلى قوله تعالى: **{ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا }** قال المفسر السعدي رحمه الله: (أي: علمناه كتاب الله، فصار العالم الكبير والحبر النحرير. فأنسلخ منها فاتبعه الشيطان أي: انسلخ من الاتصاف الحقيقي بالعلم بآيات الله، ..) اهـ.

وقد خاف نبينا صلى الله عليه وسلم على أمته من أئمة الضلال وعلماء السوء، كما عند أبي داود عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ"**.

وهكذا إذا وقعت الفتن كان أهل السنة أبعد الناس عنها ، لا يخوضون فيها ولا يستشرفون لها، بل ربما تركوا أوطانهم وديارهم فرارا من الفتن وحفاظا على الدين، كما روى البخاري عن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه أنه قال : **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ"**

ومما يحذر منه أهل السنة والجماعة فتنة التفجير، فإنهم لا يرون جواز ذلك، وقد وجدت طوائف من أهل البدع كالجهاديين وتنظيم القاعدة والإخوان المسلمين وغيرهم يحثون الناس على التفجيرات والانتحارات، ويشحنون عقولهم بالشبهات، فيذهب أحدهم يلبس حزاما ناسفا ثم يذهب يفجر نفسه في أوساط الكفار، والغالب أنهم يفجرون أنفسهم في أوساط المسلمين بحجة أنهم موالون لأولياء الأمور، وهذا الفعل من كبائر الذنوب لما روى البخاري ومسلم عن ثابت بن

الضحاك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عَذَّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". فكيف لو قتل مسلماً كما يفعله بعضهم؟! والله تعالى يقول: **{ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا }** [سورة النساء : 93]

ويزعمون أن من فجر نفسه يكون شهيداً! أنى له الشهادة وقد قتل نفسه وارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، وربما قتل مسلماً أو أعددوا من المسلمين، أما ما يحتجون به من قصة البراء رضي الله عنه أنه تسلل من فوق السور ورمى بنفسه بين الكفار، فالقصة إن ثبتت فليس لهم فيها حجة؛ لأنه لم يتفجر ولم يقتل نفسه، بل قاتلهم بيده حتى فتح الله عليه ولو قتلوه لكان شهيداً، فأين الثرى من الثريا، فإن القياس هذا فاسد، والدليل مقدم على قول الصحابي وفعله، لكن أهل البدع لما حكموا أهواءهم ونبذوا السنة وراء ظهورهم تخطبوا في فهم النصوص وتحذلقوا بالشبهات والمتشابهات من النصوص ووفق الله أهل السنة لفهم النصوص وهداهم الله للحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ولا تزال طائفة على الحق حتى تقوم الساعة، وهم أهل السنة والجماعة، نسأل الله أن يثبتنا على ذلك حتى نلقاه.

### **{(الخصيصة الثالثة والعشرون)}**

#### **«معرفة الواقع من صميمه»**

أهل السنة والجماعة هم أفقه الناس بالواقع، وذلك لأنهم أعلم الناس بأحكام الشرع فربطوا بين المصالح الدينية والدنيوية، أما الذين لا يعتنون بالعلوم الشرعية علم الكتاب والسنة ولا يدرسون الأحكام الشرعية فإنهم لا يفقهون الواقع ولا يعرفون الفتن أين مدخلها من مخرجها، فأهل التحزبات وبعض العامة يتخطبون في المخالفات بحجة معرفة الواقع وهم من أبعد الناس عن معرفة الواقع بسبب جهلهم بالعلم الشرعي وبعدهم عنه، فلا للواقع فقهوا ولا للمخالفات تركوا، أما أهل السنة فإنهم يعرفون الواقع والعواقب المترتبة عليه، ثم يوجهون الناس إلى ما فيه صلاحهم في دينهم ودنياهم، ويحذرونهم مما فيه فسادهم، ثم إن الواقع بعد ذلك يشرح أهل السنة ويشرح أهل البدع، وكما يقال: "الواقع خير شاهد" فيحمد الناس أهل السنة ويثنون عليهم لما رأوا من مطابقة كلامهم للواقع، والعواقب الحسنة المترتبة على ذلك، ويذمون أهل البدع ويدعون عليهم لما رأوا من مخالفة الواقع لكلامهم وسوء العواقب المترتبة على ذلك؛ لأن الواقع صار خلاف ما كانوا يتوقعونه، فيفرح

الذين تابعوا أهل السنة وأخذوا بتوجيهاتهم، ويندم الذين تابعوا أهل البدع، وأخذوا بفتاواهم الزائغة، ويعضون على أنامل الندم؛ لأنهم ما جنوا إلا الويلات والفتن والأزمات مما هو مشاهد في واقعنا الحاضر، كل ذلك بسبب أهل البدع وواقعهم المزعوم، فقد أغرقوا الناس في المخالفات والفتن والجهالات بحجة معرفة الواقع، فمن أمثلة ذلك: أن أهل السنة حذروا من الاختلاط بالنساء والخلوة بهن في المدارس وفي الجامعات، واختلاط الرجل بحميته أو بنت عمه في البيوت، أو زميلته في المكاتب والمدارس ونحو ذلك، فرماهم أهل البدع والتحزبات بالتشدد وعدم فهم الواقع، وأنهم فرقوا بين الناس ونحو ذلك، ثم أفتى هؤلاء المتحزبة بجواز الاختلاط وأخذ الناس بهذه الفتوى حتى وقع الفأس على الرأس وحصلت الفتن والطلاق وحصل الفراق وحصل القتل في بعض المناطق بسبب هذه المخالفة وهي الاختلاط والواقع خير شاهد، فقد حصلت أمور لا يُحمد عقباها، ولو أن الناس أخذوا بتوجيهات أهل السنة وإرشاداتهم لسلمهم الله من هذا البلاء كله، فليحذر المسلمون من أهل البدع وفتاواهم الزائغة، فإنهم غشاشون للناس في دينهم ودنياهم.

مثال آخر: حذر أهل السنة من المظاهرات والانقلابات؛ لأنها غير شرعية بل هي عادات غريبة وفكرة خارجية، وأن عواقبها وخيمة، فقال أهل البدع والتحزبات هؤلاء عملاء، وهؤلاء علماء سلطة، فما هي إلا أيام فإذا بالسحر ينقلب على الساحر كما يقال، فزاد الظلم واشتعلت الفتن وقُتل الأبرياء وهُجر الضعفاء وزاد البلاء، وزادت المنكرات، وزادت الأزمات وبُدل الأمن خوفاً وانهارت البلاد والعباد، وحجتهم معرفة الواقع ومسايرة الناس ومواكبة العصر، فنجى الله أهل السنة من هذه الفتنة وأدوا ما أوجب الله عليهم وتورط أهل البدع والتحزبات في هذه الفتنة التي لا مخرج لها إلا بالله تعالى، وشهد الواقع والناس لأهل السنة أنهم يعرفون الواقع من صميمه وأن أهل البدع لا يفقهون شيئاً من الواقع؛ لأنهم مفلسون من العلم الشرعي؛ لأن العلم الشرعي هو السبيل لمعرفة الواقع، فلا بد من الربط بين الواقع والعلم الشرعي وإلا فلا سبيل إلى معرفته.

## {(الخصيصة الرابعة والعشرون)}

### «الثبات»

من خصائص أهل السنة والجماعة أنهم يثبتون على الحق، ويثبتون على الدين، ويثبتون على العلم الشرعي، ويثبتون على العبادات، ويثبتون على ما هم عليه من خير مهما كانت الظروف، ومهما كانت التقلبات في أي زمان وفي أي مكان، يقدمون المصلحة الدينية على سائر المصالح الدنيوية، فيثبتون على الحق؛ لأنهم يعلمون أن الحق لا يتغير بتغير الأزمنة والأمكنة؛ ولأن الحق هو كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم؛ لأنهما محفوظان بحفظ الله لهما، ولأنهما صالحان لكل زمان ومكان لا يتغيران بتغير الأزمنة والأمكنة، فإن الله سبحانه وتعالى جعل الكتاب السنة منهاجا صالحا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فأهل السنة لا يتغيرون بتغير الناس وتغير الأماكن والأزمنة؛ لأنهم أخذوا دينهم من الوحيين المعصومين الذين لا يتغيران بتغير الأزمان والأماكن، وأخذوا منهجهم الذي يسيرون عليه عن السلف الصالح الذين شهد الله لهم ورسوله، والذين أمرنا الله ورسوله باقتفاء آثارهم والسير على منهاجهم، فأهل السنة لا يزيدون ولا ينقصون على ما جاءهم من كتاب ربهم وسنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وفهم السلف الصالح، بخلاف أهل البدع فإنهم غيروا وبدلوا بحجة مواكبة العصر، وخالفوا طريقة السلف الصالح فتغيروا وتحزبوا ثم تحزّبوا، وقد كان الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله تعالى يقول: "الحزبية مساختة من دخلها كثرت أوساخه"، وصدق رحمه الله فقد كان في زمنه أناس على سنة وعلى خير، فلما تحزّبوا تغيروا وقل خيرهم وزاد شرهم ومسخوا ولهثوا وراء المصالح الدنيوية والمناصب، فصاروا يعرفون ما كانوا ينكرون وينكرون ما كانوا يعرفون، ويفتون بخلاف ما كانوا يقولون، وهذه من أبرز علامات الانحراف، قال حذيفة رضي الله عنه: "إن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ماكنت تنكر وتنكر ماكنت تعرف فأياك والتلون فإن دين الله واحد"

فمن خصائص أهل السنة والجماعة أنهم لا يتلونون ولا يتقلبون، بل يثبتون على الحق ولو على حساب دنياهم، وإن ذهبت كثير من المصالح الدنيوية، فإنهم لا يبالون بها أمام الدين، فإن الدين عندهم هو رأس المال، والحق عندهم أكبر من كل كبير، ومن خالف الحق يهجر ويحذر منه ولو كان أقرب قريب، بينما أهل البدع يراعون المصالح الدنيوية ويتزلفون إلى أصحاب الدنيا ولو على حساب دينهم، بينما الرجل الذي ليس منه مصالح لا يبالون به، ولو كان من أتقى الناس وأعلمهم؛ لأنهم يدورون حول الدنيا والمصالح، فيصدق فيهم قول القائل:

يدور مع الزجاجة حيث دارت\*\*\* ويلبس للسياسة ألف لبس

والنبي صلى الله عليه وسلم قد حث على الثبات الدين، وزهد في الدنيا وخشي على أمته منها، فقد كان من وصاياه صلى الله عليه وسلم لشداد بن أوس رضي الله عنه كما عند الإمام الطبراني رحمه الله تعالى. "يا شداد بن أوس! إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة، فأكثر هؤلاء الكلمات:

اللهم! إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد،

وأسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وأسألك من خير

ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم؛ إنك أنت

علام الغيوب" وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ" رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه، قال أنس فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا ؟ قَالَ : " نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ ". وفي رواية عن أم سلمة رضي الله عنها : "فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ" فينبغي على العبد أن يسأل الله الثبات على الحق، وعدم المبالاة بالدنيا وكنوزها من الذهب والفضة والأموال ونحو ذلك فإنها تشغل العبد عن دينه، فإن الثبات على الحق أغلى من الذهب والفضة، فقد روى البخاري ومسلم عن عمرو بن عوف رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسِطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتُهُمْ".

الشاهد :أن أهل السنة هم أثبت الناس على كتاب ربهم وعلى سنة نبيهم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

### {(الخصيصة الخامسة والعشرون)}

#### « أهل السنة ظاهرهم وباطنهم سواء »

أهل السنة ظاهرهم وباطنهم سواء، ليس عندهم سرّيات وأمر خاصة تقال في مجالس خاصة أو لأناس مخصوصين، فإن الذي يقال في المجالس العامة هو الذي يقال في المجالس الخاصة، إلا أنهم يستعملون الحكمة فيضعون الأشياء في مواضعها، فيقولون في هذا المكان ما لا يقولونه في مكان آخر، ويخاطبون هذا الشخص ما لا يخاطبون هذا الشخص، مراعاة للمصالح الدينية، كما قال علي رضي الله عنه : " حَتَّيْتُ النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُجَبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ " وإلا فالأصل أن أهل السنة ظاهرهم وباطنهم؛ لأنهم يسيرون على سنة غراء صافية، بيضاء نقية، واضحة جلية، ظاهرها كباطنها، ليلها كنهارها، كما ثبت ذلك عن النبي عن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم عند الإمام أحمد وابن ماجه عن العرياض بن سارية رضي عنه قال عليه الصلاة والسلام: " قَدْ تَرَكَتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، نَيْلُهَا كَنْهَارُهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ .. " الحديث فأهل السنة والجماعة ليس عندهم إلا كتاب وسنة، ليس عندهم شيء يخفونه، بل لا يجوز إخفاء شيء من دين الله كما قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۖ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ } [ سورة البقرة : 159 ]

وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَسْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [ سورة البقرة : 174 ]

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة، رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " مَنْ كَتَمَ عِلْمًا يَعْلَمُهُ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجَمًا بِلْجَامٍ مِنْ نَارٍ " هذه الأدلة وما شابهها على أصحاب السريات، وعلى الذين يكتُمون الحق عن الناس، وعلى الذين



يكتمون العلم عن الناس أو يخصوصونه بأناس دون آخرين، بخلاف أهل السنة والجماعة فإنهم يصدعون بالحق للقاصي والداني لا يخافون في الله لومة لائم، ويثبتون الخير للناس كافة، ويعلمون الناس عامة على مختلف أحسابهم وأنسابهم وأشكالهم وأحوالهم، لا يداهنون ولا يحابون أحدا دون أحد، إذ لا فرق عندهم بين عربي على أعجمي ولا غني على فقير ولا حسيب على وضيع، الناس سواسية كأسنان المشط لا يمتنعون أحدا من الخير ولا يخصوصون أحدا بشيء دون غيره، ولا يفضلون أحدا على أحد إلا بالتقوى والصلاح والعلم، كما قال القائل:

لعمرك ما المرء إلا ابن دينه\*\*\* فلا تترك التقوى اتكالا على النسب

لقد رفع الإسلام سلمان فارس\*\*\* ووضع الشرك الحسيب أبا لهب.

فالذي يرفع العبد على غيره هو علمه وتقواه وتواضعه كما قال ربنا في كتابه الكريم  
**{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا } إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ { إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [سورة الحجرات : 13]**

### **((الخصيصة السابعة والعشرون))**

#### **«العموم والشمول، والكمال والدوام»**

أهل السنة والجماعة يهتمون بالكليات والجزئيات والأصول والفروع والواجبات والمستحبات كما تقدم عند خصيصة أخذ الدين من جميع جوانبه، وإذا قاموا بالشيء قاموا به أتم القيام، ويهتمون بجميع ما يحتاجه الناس في دينهم ودنياهم، فتراهم في باب العقيدة والتوحيد أسبق الناس، وفي باب السنة والعمل بها أول الناس، وفي باب الفقه أفقه الناس، وفي باب اللغة وعلوم الآلة أعلم الناس، وفي باب العبادات أعبد الناس، وفي باب الواقع أعرف الناس وهلم جرا، مع الإخلاص والكمال لا يتهاونون بالشيء ولا يؤجلونه، وهم مع ذلك يداومون عليه ويحثون عليه ويزدادون به قوة، فهم كل يوم إلى الأحسن وإلى الأفضل، بينما غيرهم من الفرق إلى الأسوأ وإلى القهقرا؛ لأنهم لا يهتمون بعقيدة ولا توحيد، ولا بفقه ولا لغة، وإنما همهم الدنيا والمصالح والسياسات والتحليلات والفتن والخرافات، فمن كان هذا حاله فمآله إلى زوال وضعف، ربما تنقرض بعض الفرق أو تضعف أو نحو ذلك؛ لأن غالب دعواتهم تقوم على المصالح فإذا انقطعت المصالح انقطعت دعوتهم، ترى بعض أهل البدع يتوثبون على المساجد الكبيرة التي يحصل

فيها جموع غفيرة من أجل تكثر التبرعات، ويفرضون أنفسهم على الناس وهم لا يرغبون فيهم، ويحاولون استقطاب الناس للحزبية بما يوردون عليهم من الشبهات، وبالمقابل تراهم يعرضون عن المساجد الصغيرة التي لا يجتمع فيها الناس؛ لأن المصالح فيها ضئيلة، بينما أهل السنة والجماعة لا يبالون بذلك، وإنما يدعون إلى الله حيثما كانوا ربما يصعدون للناس إلى رؤوس الجبال يعلمونهم دينهم بقطع النظر عن المصالح الدنيوية، بل المصلحة عندهم هي تبصير الناس في دينهم، دعوتهم دائمة على مدى العام ليست موسمية كما يفعل بعض أهل البدع تبعا للمصالح، ولهذا تجد دعوة أهل السنة قوية دائمة في المساجد وفي الشوارع والمجالس وعلى مستوى الرسائل والكتب وفي التواصلات الاجتماعية وفي الشبكات والمهاتفات ونحو ذلك جماعات وأفراد، دعوة قوية ملأت السهل والجبل وانتشر خيرها في العالم، وأهلها لا يزالون أقوياء بقوة الله لهم؛ لأنها دعوة الله من نصرها نصره الله، ومن حاربها حاربه الله، وقد وعد الله بحفظها ونصرها ونصر أهلها، قال الله: **{وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}** [سورة الصافات : 173] **{ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ }** [سورة المجادلة : 21]

وروى البخاري ومسلم **عن ثوبان**، رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ " وفي رواية لمسلم : " حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ " .

فدعوة أهل السنة تتميز بالشمول والكمال يعملون بجميع الأدلة وجميع السنن والأحكام، فهي كاملة شاملة لجميع مجالات الحياة، لا يحابون أحدا على أحد ولا يداهنون شخصا في دين الله، ولا يدعون أشخاصا ويتركون أشخاصا بل إنهم ينصحون لجميع الناس، وهم نصحاء للخلق بخلاف أهل البدع يأخذون من الأدلة ما يوفق أهواءهم ويتعاملون عن الأدلة الأخرى التي لا تناسب مناهجهم، بل إنهم يتبعون المتشابهات من النصوص، والأحاديث الضعيفة التي يستطيعون الاستدلال بها على بدعهم، بينما يعرضون عن المحكمات لأنها تفضحهم؛ وهكذا من اتبع الهوى تخبط وتناقض وتحير، بينما دعوة أهل السنة واضحة جلية، صافية نقية، كاملة شاملة، عامة لجميع الناس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي كذلك في المشرق وفي المغرب على قلب رجل واحد لا يختلفون ؛ لأن منهجهم واحد مستمد من الكتاب

والسنة ليس بينهم تناقض ولا اختلاف؛ لأن الكتاب والسنة ومنهج السلف يضبطهم، ومن خالف أصلا من أصول أهل السنة نصحوه فإن أصر نبذوه وهجروه وحذروا منه وبدعوه ، وهذا يدل على صفاء منهجهم، ونقاء دعوتهم، ليس عندهم القاعدة التمييزية التي يصير عليها أهل البدع: (نتعاون فيما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه) دعوتهم كالبحر لا تقبل الميئة؛ لأنها دين الله الحق، والله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظها ونصرها، فهي باقية مابقي الليل والنهار، والناظر يراها محفوظة ودائمة منذ بزوغ فجر الإسلام إلى يومنا وإلى أن تقوم الساعة لا يستطيع أحد إطفاءها؛ لأن الله أبى إلا أن يتمها ويعليها ويظهرها على جميع الملل والنحل قال تعالى: **{ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }** [سورة التوبة : 32] ولذلك تجد جميع الدعوات من أصحاب البدع يحاربون هذه الدعوة؛ لأنها تفضحهم وتبين عوارهم، لكنهم ينهزمون أمامها بفضل الله تعالى، بل إن ملل الكفر قاطبة قد تكالبت عليها فلم تضرها بحمد الله ونصره لها وبوعده الصادق الذي لا يُخلف، قال تعالى: **{ لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَدَىٰ وَإِنْ يَفْقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ }** [سورة آل عمران : 111]

فينبغي المحافظة عليها، ونصرها ونصر أهلها؛ لأنها دعوة الله من نصرها نصره الله ، ومن ضيعها أو فرط بها أو عاداها فإنما ضيع نفسها وضرها؛ لأن الله تعالى قد وعد بنصرها وبحفظها، نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يثبتنا عليها حتى الممات والحمد لله رب العالمين.

## {(الخصيصة السادسة والعشرون والأخيرة)}

### «البعد عن الجدل»

إن من منهج أهل السنة والجماعة لهو البعد عن الجدل وعدم الخوض فيه مع خصومهم؛ لأن الجدل لا يأتي بخير؛ ولأنه يترتب عليه أضرار ومفاسد وتضييق للصدور وفتح باب لإلقاء الشبهات، إلا أن يكون جدلاً بالتي هي أحسن لبيان الحق لمبتغيه، كما قال الله سبحانه وتعالى: **{ وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُمُّ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }** [سورة العنكبوت

[ 46 :

فمن جادل بالتي هي أحسن للاستفسار عن الحق ولاستبيانه وعلم منه أنه يريد الحق فجذاله محمود، وهو من النوع الذي استثناه الله بقوله: **{إلا بالتي هي أحسن}**

قال المفسر السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب، إذا كانت من غير بصيرة من المجادل، أو بغير قاعدة مرضية، وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق وتحسينه، ورد عن الباطل وتهجينه، بأقرب طريق موصل لذلك، وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق، إلا من ظلم من أهل الكتاب، بأن ظهر من قصده وحاله، أنه لا إرادة له في الحق، وإنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة، فهذا لا فائدة في جداله، لأن المقصود منها ضائع". هـ.

فإذا علم من حال المجادل أنه ما يريد إلا العناد والمكابرة والمغالبة والهوى والانتصار للنفس فهذا لا يجادل؛ لأن لأهل البدع شبهات يريدون إلقاءها على الناس؛ ولأن بعض الناس ما أوتي إلا من قبل الشبهات، فلربما وقعت

الشبهة في قلب إنسان لا تخرج أبداً إلا أن يشاء الله تعالى، وربما كانت تلك الشبهة سبباً لانحراف ذلك العبد عن السنة وزيغته عن الجادة، وربما وقعت تلك الشبهة في قلب المجادل نفسه أو في قلب أحد المستمعين، فالشبهات خطافة والقلوب ضعيفة، فالأسلم هو البعد عن المجادلات وعن المناظرات إلا في أمر لا بد منه بشروط وضوابط معلومة عند أهل العلم.

فأهل السنة يبينون للناس الحق في الكتب والرسائل والمنشورات، وفي المجالس وفي الخطب والمحاضرات وهم في غنية عن الجدال، والذي فيه خير ويريد الحق سيجده ويوفق له ثم يتبعه، وإلا فإن الجدال مذموم فقد روى الترمذي عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ " . ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ : " { مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ } " . وروى أبو داود عَنْ أَبِي أَمَامَةَ أَيْضًا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكُذْبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ " .

قوله : "أنا زعيم" أي ضامن، وقوله : "في ربض" أي في نواحيها وجوانبها من الداخل، أو في أركانها، فكثرة الجدل يؤدي إلى الشقاق والخصومات والفرقة وإيغار الصدور وهومن منهج أهل البدع، فإنهم يحبون الجدل والفرقة ويتصيدون العوام بإثارة الشكوك والشبهات، ويسعون في تغطية باطلهم وضعفهم بالجدال والصياح، وليس هذا من سيما أهل السنة، إنما عندهم الهدوء والسكينة وبذل الحق للناس بأدلتهم، بدون مهاترات، فمن شاء قبله ومن شاء رده، ليس هذا إلينا إنما علينا البلاغ، بخلاف أهل البدع ليس لديهم أدلة صريحة ولا حجج قوية، فيعمدون إلى الكذب والمجادلات والتلبيسات وإلقاء الشبهات وإيراد الأدلة الضعيفة، وإذا عجز أحدهم من جانب رجع من الجانب الآخر، فهو لاء يصدق عليهم قول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنَّ أْبْعَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ " متفق عليه عن عَنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

والجدال المذموم هو الخصومة بالباطل في رفع حق، أو إثبات باطل، قاله النووي رحمه الله. ولم يحصل أن مبتدعا رجع إلى الحق عن طريق الجدال، فإنه لا فائدة من الجدل فإن ضرره أكثر من نفعه.

فقد كَانَ مَالِكٌ إِذَا جَاءَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، قَالَ: أَمَّا إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ دِينِي، وَأَمَّا أَنْتَ، فَشَاكَ، اذْهَبْ إِلَى شَاكَ مِثْلِكَ، فَخَاصِمُهُ"

وقال ،رحمه الله : الجِدَالُ فِي الدِّينِ يُنْشِئُ المِرَاءَ، وَيُذْهِبُ بِنُورِ العِلْمِ مِنَ القَلْبِ وَيُقْسِي، وَيُورِثُ الضِّغْنَ"

وأنصرف مَالِكٌ يَوْمًا، فَلَحِقَهُ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ: أَبُو الجَوِيرِيَّةِ، مُتَّهِمٌ بِالْإِرْجَاءِ، فَقَالَ: اسْمَعْ مِنِّي. قَالَ: اخْذِرْ أَنْ أَشْهَدَ عَلَيْكَ. قَالَ: وَاللَّهِ مَا أُرِيدُ إِلَّا الْحَقَّ، فَإِنْ كَانَ صَوَابًا، فَقُلْ بِهِ، أَوْ فَتَكَلَّمْ قَالَ: فَإِنْ غَلَبْتَنِي؟ قَالَ: اتَّبِعْنِي. قَالَ: فَإِنْ غَلَبْتُكَ؟ قَالَ: اتَّبِعْتُكَ. قَالَ: فَإِنْ جَاءَ رَجُلٌ، فَكَلَّمْنَا، فغلبنا؟ قَالَ: اتَّبِعْنَاهُ، فَقَالَ مَالِكٌ: يَا هَذَا، إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِدِينٍ وَاحِدٍ، وَأَرَاكَ تَتَنَقَّلُ". انتهى من سير أعلام النبلاء.

هكذا كان السلف الصالح لا يستمعون لأهل البدع فضلا عن أن يجادلوهم، بل بعضهم ما كان يستمع للمبتدعة قرآنا فكيف يستمع له شبهات ونحو ذلك، فقد دخل رجلان من أصحاب الأهواء على محمد بن سيرين فقال يا أبا بكر نحدثك بحديث، قال لا، قالوا فنقرأ عليك آية، قال لا، لتقومان عني أو لأقومنه، فقاما. فقال بعض القوم: يا أبا بكر وما عليك أن يقرأ عليك آية؟ قال خشيت أن يقرأ آية فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي" اهـ.

وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله تعالى: " لا تمكنوا صاحب بدعة من جدل فيورث قلوبكم من فتنة ارتياباً".

وقال أبو قلابة رحمه الله تعالى؛ " لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما لبس عليهم" وفي رواية: " فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون".

وقال رجل من أهل البدع لأيوب السخيتاني رحمه الله: يا أبا بكر أسألك عن كلمة فولى وهو يقول بيده لا ولا نصف كلمة"

وقال ابن طاووس لابن له يكلمه رجل من أهل البدع: يا بني أدخل أصبعيك في أذنيك حتى لا تسمع ما يقول، ثم قال :اشدد اشدد"

فننصح بإغلاق هذا الباب عن أهل البدع، فإن كثيرا من العوام أوتوا من قبل أهل الجدل وشبهاتهم فانحرفوا معهم، فإن الشبهة إذا دخلت في قلب العبد ربما لا تخرج منه أبدا إلا أن يشاء الله تعالى، أو يسمع منه حديثا ضعيفا أو نحو ذلك فيتبع ذلك المبتدع فلا يكاد يفارقه ولا يصدق عليه،ربما لا يقبل

الحق بعد ذلك أبداً، ولا يوفق للخير ألا أن يشاء الله تبارك وتعالى، وقد حصل هذا لكثير من الناس، فينبغي تحذير العوام من مجالسة أهل البدع والاستماع لهم فإنهم لمن سبق، فإن سبق إليهم المبتدعة والحزبيون أفسدوهم وبدعهم وشبهاتهم وصاروا من أتباعهم، وإن وفقهم الله لأهل السنة عرفوا الحق على أيديهم، قال أيوب السخيتاني رحمه الله: "من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفق لعالم سنة من أول يوم".

### {(خاتمة)}

ذكرنا في هذا المبحث أهم الخصائص والمميزات لدعوة أهل السنة والجماعة، وهذا من حيث الجملة ومن حيث الغالب عليهم؛ لأن منهج أهل السنة معصوم، وأما الأتباع والأفراد ليسوا معصومين، فقد يحصل من بعض أفراد أهل السنة ما يخالف ذلك، فيكون هذا الخطأ محسوباً على صاحبه ولا يُحمَلُ أهل السنة والجماعة قاطبة، فلا يحسب هذا الخطأ على المنهج، فقد يحصل من بعض أفراد أهل السنة والجماعة أو من أحادهم ما يخالف هذه الخصائص أو يحصل من محبيهم أو ممن يزعم أنه من أهل السنة وليس منهم، فأهل السنة أبرياء من هذا الخطأ ومنهجهم معصوم منه، وكما قيل: كل شاة معلقة برجلها، قلنا هذا لأنه قد يأتي مغرض ويستغل هذه المخالفة ويلصقها بدعوة أهل السنة والجماعة، ويقول أنتم تقولون إن من خصائص أهل السنة كذا وكذا وها أنتم تفعلون كذا وكذا، وفلان محسوب عليكم قد خالف في كذا وفعل كذا، فنقول كما تقدم أفراد أهل السنة قد يحصل منهم الأخطاء، ومن حصل منه خطأ فإنهم يناصرونه وخطؤه محسوب عليه، فمن ذا الذي لا يخطئ قط؟ أو تكون له الحسنى فقط، كل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء عن الإمام مالك رحمه الله، فالمخطئ لا يمثل الدعوة السلفية، والخطأ يعدل، والمخطئ يؤخذ بيده وينصح ويرد إلى الصواب كما تقدم، ومن أصر على خطئه فخطؤه على نفسه لا يتحمل أهل السنة والجماعة أخطاء بعض أفرادهم، ولا يخرج السني من السنة بالمعصية إلا من خالف أصلاً من أصولها أو ارتكب بدعة وأصر على ذلك فإنه يصير في عداد أهل البدع.



نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يهدي به من كان ملبسا أو مغررا عليه من قبل المتحزبين، وأن يبصر بالحق كل من عدل عن الحق ممن كان يسمع المثالب والنقائص والتشويهات في أهل الحق أهل السنة والجماعة، فإن المشوهين للحق وأهله والملبسين على الناس كُثر لا كثرهم الله، والذي يعيش في أوساط أهل السنة يرى خلاف ما يسمع عن أهل السنة من التشويه بهم، ويرى صدق ما سطرناه وكتبناه في هذه الرسالة من هذه الخصائص والمميزات ، فيجب على كل مسلم أن ينتثبت فيما يسمع من كلام الكذابين والمتحزبين والفسقة الذين يكذبون على أهل السنة من أعداء السنة وخصومها من أهل البدع والأهواء فإن الله تعالى يقول: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ }** [سورة الحجرات : 6] والحمد لله رب العالمين .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

تم كتابة هذه الرسالة في صبيحة يوم السبت ٣/صفر/١٤٤٥هـ.

كتبه أبو عبد الرحمن موفق بن أحمد بن علي الفاضلي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.

## الفها س

- ٢..... مقدمة الشيخ أبي بكر الحمادي
- ٣..... مقدمة الشيخ عبد الحميد الزعكري
- ٤..... مقدمة المؤلف
- ٦..... سبب تأليف هذا الكتاب
- ٧..... منهج المؤلف في تأليف الكتاب
- ٧..... سبب تسمية أهل السنة السلفيين بهذين الاسمين
- ٩..... تعريف الخصيصة والميزة
- ١٠..... الخصيصة الأولى: اهتمام أهل السنة بالعقيدة
- ١٢..... ١- عقيدتهم في الإيمان
- ١٤..... عقيدة المرجئة والخوارج في الإيمان
- ١٥..... ٢- عقيدة أهل السنة في الأسماء والصفات
- ١٨..... ٣- عقيدتهم في القرآن الكريم
- ١٩..... ٤- عقيدتهم في أولياء الأمور المسلمين
- ٢٣..... ٥- عقيدتهم في الشفاعة لأهل المعاصي
- ٢٤..... ٦- عقيدتهم في الصحابة وآل البيت
- ٢٥..... الخصيصة الثانية: اهتمامهم بالتوحيد
- ٣٠..... الخصيصة الثالثة: الاهتمام بالسنة والثبات عليها

- الخصيصة الرابعة: الاهتمام بالعلم الشرعي..... ٣٧
- الخصيصة الخامسة: الاهتمام بعلم الحديث..... ٤٢
- الخصيصة السادسة: فهم الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.. ٤٤
- الخصيصة السابعة: الولاء والبراء الشرعي..... ٤٧
- الخصيصة الثامنة: الصدق بالحق..... ٥١
- الخصيصة التاسعة: مخالفة الكفار..... ٥٤
- الخصيصة العاشرة: الصدق في الحديث..... ٥٦
- الخصيصة الحادية عشرة : عدم التقليد..... ٥٨
- الخصيصة الثانية عشرة: الوضوح والتميز..... ٦٢
- الخصيصة الثالثة عشرة: الوسطية..... ٦٦
- ١- أهل السنة وسط في باب المشايخ والعلماء..... ٦٦
- ٢- أهل السنة وسط في باب العبادات..... ٦٦
- ٣- أهل السنة وسط في باب الإيمان بين الخوارج والمرجئة..... ٦٧
- ٤- أهل السنة وسط في باب أفعال العباد بين الجبرية والمعتزلة..... ٦٨
- ٥- أهل السنة وسط في باب كلام الله بين الواقفة والمعتزلة..... ٦٩
- ٦- أهل السنة وسط في باب الصفات بين الممثلة والمعتزلة..... ٧١
- ٧- أهل السنة وسط في باب الشفاعة بين الخوارج والصوفية... ٧٣
- ٨- أهل السنة وسط في باب التكفير بين أهل الغلو والتميع..... ٧٤
- ٩- وسط في باب التفسيق والتبديع بين أهل الغلو والتميع..... ٧٦
- الخصيصة الرابعة عشرة: طاعة أولياء الأمور المسلمين..... ٧٧
- الخصيصة الخامسة عشرة: أخذ الدين من جميع جوانبه..... ٨٣
- الخصيصة السادسة عشرة: الصبر بأنواعه الثلاثة..... ٨٦
- الخصيصة السابعة عشرة: تعليم الناس أمور دينهم..... ٨٨

- الخصيصة الثامنة عشرة: العفة ..... ٩٠
- الخصيصة التاسعة عشرة: تعظيم شعائر الله ..... ٩٢
- الخصيصة العشرون: الرحمة بالخلق ..... ٩٤
- الخصيصة الواحدة والعشرون: التواضع للحق والإذعان للدليل ..... ٩٥
- الخصيصة الثانية والعشرون: البعد عن الفتن ..... ٩٦
- الخصيصة الثالثة والعشرون: معرفة الواقع من صميمة ..... ٩٩
- الخصيصة الرابعة والعشرون: الثبات ..... ١٠١
- الخصيصة الخامسة والعشرون: أهل السنة ظاهرهم وباطنهم سواء ..... ١٠٣
- الخصيصة السادسة والعشرون: العموم والشمول والكمال والدوام ..... ١٠٤
- الخصيصة السابعة والعشرون: البعد عن المراء والجدل ..... ١٠٧
- الخاتمة ..... ١١٠